المقتطف

الجزء الخامس من المجلد التاسع والاربعين

١ نوفمبر (تشرين ثاني) سنة ١٩١٦ — الموافق ٥ محرم سنة ١٣٣٥

اصل العمران الاوربي

من خطبة الرياسة للسر ارثر افانس استاذ علم العاديات (الاركيولوجيا) في جامعة اكسفرد وهي الخطبة التي القاها في مجمع ترقية العلوم البريطاني الذي عقد في نيوكسل في شهر اغسطس الماضي

علم العاديات (الاركيولوجيا) يتوقف على ما يُكتشف من آثار الانسان وهو من حيث المبادئ التي يستند اليها مثل علم الجيولوجيا (اي علم طبقات الارض) حتى لا يكاد يمتاز عنهُ . ففي علم الجيولوجيا يرى الجيولوجي ما في هذه الطبقات من آثار الحيوان والنبات ويبني عليها احكامهُ من حيث اقليم الارض واحوالها الطبيعية في العصور الغابرة ويتتبع تغيراتها وتقلباتها . وهذا شأن الباحث في علم العاديات او آثار الانسان قبلما صار يكتب تاريخهُ

ففي مصر وبابل وايران القديمة وصحاري اواسط اسيا والبلاد المجاورة لبحر مديد (ايجه) كشف اهل النقب في طبقات الآكام وما بقي من انقاض المدن والمدافن ما استخرجوا منهُ مقومات عمران قديم لم يكن احد يعلم عنهُ شيئاً فضلاً عن آثار باقية من العصر الرياضي الحديث التي سابسط الكلام عليها . وزاد علم العاديات على ذلك ان قام مقام الشهود العدول في تزكية التاريخ المكتتب او تصحيحهِ والاضافة اليهِ وردّ علينا ما فقدناهُ في دياجي العصور الغابرة

وقد تمكّن علماء العاديات بمساعدة زملائهم علماء الجيولوجيا والبلينتولوجيا (علم المتحجرات) من اكتشاف الشيء الكثير من المواد التي بيّنت كيف نشأت الصناعات والادوات وتدرّجت في سلّم الارتقاء واثبتت ان نشأتها قديمة جدًّا اقدم مما كان يُظَن

فقد زيد على ما اكتُشف قبلاً من منحوتات الانسان في عصر الرنة[1] تماثيل من الصلصال تمثل حيوان البيسون[2] في حجمه الطبيعي وجدت في كهف تولك دودوبر وتنوش بارزة تمثل ستة اقراس منقوشة في الصخر الكلسي المُطِيف على راس بلانك وصور كثيرة على جدران الكهوف والمغاور

وقد دهش الناس باكتشاف العالم الاسباني السنيور ده سرتولا او بالحري اكتشاف ابنته لصور قديمة في جبال البرنيس وذلك منذ سنة ١٨٧٨ حتى انهم لم يثقوا بصحتها لغرابتها الاَّ بعد ما كُشف ما يماثلها في الجانب الفرنسوي من تلك الجبال في بداءة هذا القرن . وهذه الصور كلها تدلُّ على مهارة فائقة في رسم الاشكال الطبيعية والتصرُّف في اوضاعها . ومدادها المغرة الحمراء والصفراء وبعض حدودها مرسوم بالفحم وقد وجدت الهواوين التي سحقت فيها تلك الاصباغ والصحاف التي لبقت عليها . وتجد في صورة الحيوان الواحد ان لونهُ يتدرج من الاسود الى الرمادي فالاسمر الى البرتقالي اللامع ويمتزج اللون احياناً بحكم او بتسلم وتُظهَر الحدود والتفاصيل بخطوط بيضاء تضاف الى الصورة الاصلية . واذا وجد المصور بروزاً في الصخر استخدمهُ لاظهار بروز في الصورة على درجة فائقة من المهارة . واغرب ما في ذلك ان بعض هذه الصور الملونة التي تمثل البيسون واقفاً او رابضاً على اوضاع مختلفة وجدت مرسومة على سقوف الكهوف الداخلية حيث لا يصل نور النهار مطلقاً وليس هناك اثر للدخان ليقال ان الذين صوروا تلك الصور كانوا يستضيئون بالمشاعيل فلا شبهة في ان صناعة عمل الاضواء كانت قد اتقنت كثيراً . ونعلم الآن انهم كانوا في ذلك العصر يصنعون سرجاً متقنة من الحجر ويزينونها بحفر رؤوس الثيائل[3] فيها

هكذا كانت حالة ما وصل اليهِ الانسان من صناعة النقش والتصوير في الجنوب الغربي من اوربا قبل كل ما كُشف حتى الآن من اقدم آثار مصر وبابل بعشرة آلاف سنة على اقل تقدير . وهذا ليس كل ما كُشف من آثار ذلك العمران القديم فان الامور التي كان يُظَن انها من مميزات العصور الحديثة وُجد الآن انها كانت في ذلك العصر القديم سواء كانت مادية او ادبيَّة . وترى الادلة متوالية ومتوفرة في المكتشفات الحديثة على وجود عمران قديم بلغ اوجهُ في نحو نهاية الزمن المعروف بالعصر المجدلي

وتدلُّ هذه النقوش ايضاً على ان الناس كانوا قد اخذوا يبنون الاكواخ ويقيمون فيها

(١) الرنة حيوان من نوع الايل يوجد الآن في اقصى الشمال من اوربا واميركا والبيسون حيوان كالجاموس يوجد الآن في بعض روسيا وشمال اميركا الشمالية (٢) الثيل البرية

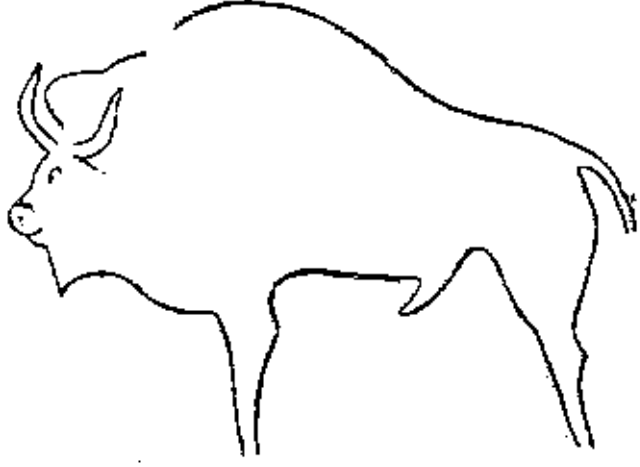

رسم جاموس من رسوم الاقدمين قبل التاريخ

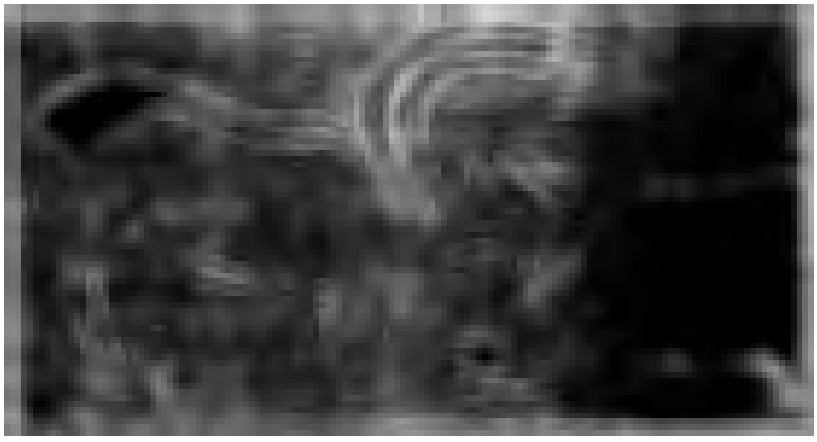

رسم وعلين من رسوم الاقدمين قبل التاريخ

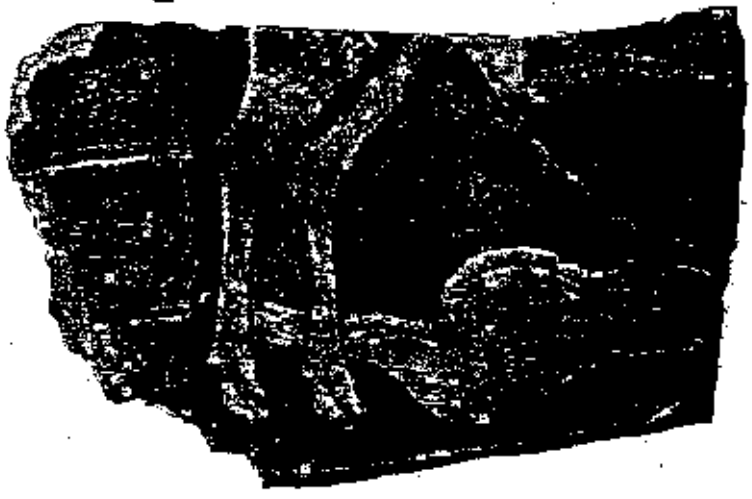

رسم رجلي وعل وامرأة مطروحة امامهُ من رسوم الاقدمين قبل التاريخ

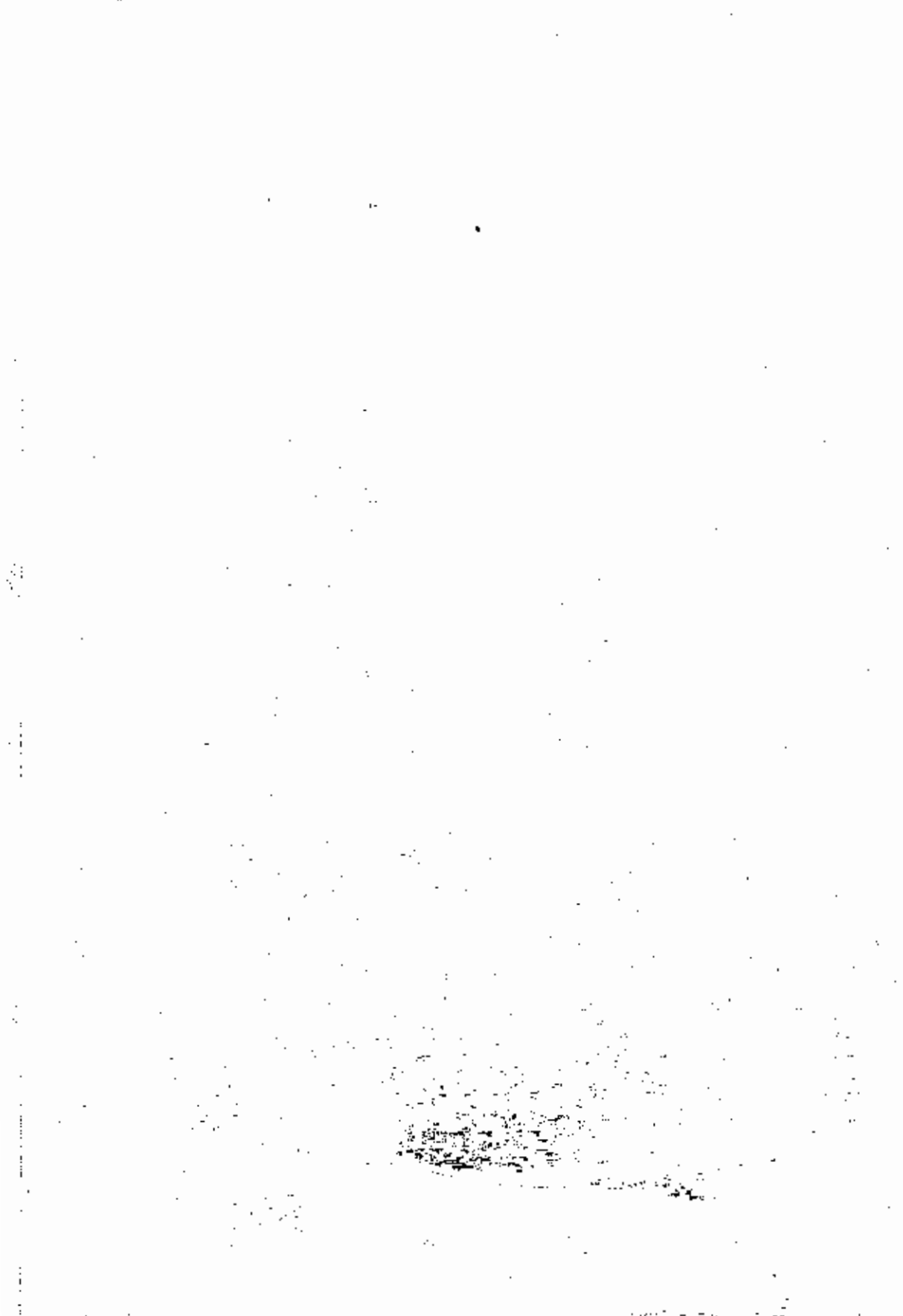

ويدرأون اسلحة اعدائهم بانواع من الاتراس . واغرب ما كُشف من هذا القبيل دلالة على ارتقاء ذلك العمران صور مرسومة على الصخور في اسبانيا في اماكن كثيرة منها . فالتي في كوغول تمثل حلقة رقص وفيها نساء لابسات تنانير من اوساطهن الى اقدامهن . والتي في البيرا فيها نساء لابسات التنانير وعلى اكتافهن اوشحة هبّت بها الرياح . والتي في كوفادلافيجا تصل التنانير فيها من عند الثديين الى القدمين . وفي هذه الصور امور مدهشة ففيها مناظر الصيد بالقسي والسهام وهي مما لم نرَ له اثراً من قبل في العاديات الباقية من العصر الظراني الاقدم . وفيها صور اناس يرقصون كما يرقص سكان استراليا الاصليون وبعضهم يلبس على رأسه شيئاً فيه ريش ومع بعضهم حيوانات من نوع الكلب او ابن آوى ترافقهم في الصيد دلالة على انهم كانوا قد جعلوا يدلّلون الحيوان . ومع بعضهم فؤوس وبعضهم يصيدون بحذف العصي . وهناك صورة فريقين متقابلين من الرماة كانهم يتحاربون حرب المصاف

ولا شبهة في قدَم هذه الصور والنقوش لان فيها صور حيوانات قديمة من نوع الاتك[1] والبيسون اللذين كانا هناك في الدور الرابعي ولا اثر لهما في بقايا العصر الظراني الجديد

والظاهر ان هذا العمران القديم كان واسع النطاق في اوربا يمتدّ من بولونيا او من روسيا الى بوهيميا ويشمل منابع الدانيوب والرين والجنوب الغربي من بريطانيا والجنوب الشرقي من اسبانيا ويعبر بحر الروم الى شمال افريقية حيث وُجدت صور حيوانات منقوشة في الصخر من نوع الجاموس الطويل القرون وغيره من الحيوانات التي بادت من تلك الاماكن . ومن المحتمل ان يكون هذا الفرع الجنوبي واسع النطاق ايضاً لاسيما وان الصور التي وجدت في اسبانيا وجد ما يماثلها في بلاد البشمن بجنوب افريقية

والظاهر ان المعاملات التجارية كانت واسعة بين اهالي ذلك العصر كما يستدل من انتشار الحلى الصدفية المصنوعة من اصداف البحر المتوسط والحلى الحجرية المصنوعة من متحجرات منقوبة من بعض الطبقات الجيولوجية

وطبيعي فصباح العمران انقد قبل ذلك العصر القديم . وتدلّ العاديات التي كشفت حتى الآن على ان نوره كان على اسطعه في الجنوب الغربي من اوربا على جانبي جبال البرنيس . فاذا جرى حتى وقف عمران اوربا بعد ان خطا تلك الخطى الواسعة ولم يرتقِ عن الدرجة التي بلغها بل انتظر الوقا من السنين . فان ليل الجهل خيّم على تلك الربوع وعلى كل بلاد كان فيها انسان عصر الرنة ولكن ألم يكن في المسكونة اناس يتناولون مصباح العمران وينقلونه الى بلاد اخرى

(١) حيوان كبير ضخم من نوع الفزال يوجد الآن في الاصقاع الشمالية من آسيا واوربا واميركا

بلى فقد وجد حديثاً ما يتخطى الهوة التي تفصل العصر الظراني الاقدم عن العصر الظراني الحديث ويصل بينهما اي يصل بين عالمين من عصرين بعيدين من عصور الانسان

ان عمراننا الحديث مبني على عمران العصر الظراني الحديث الذي استقى من معين وادي النيل ووادي الفرات. ولقد كان العلماء يحسبون ان العمران اليوناني نشأ دفعة واحدة كما كان القدماء يزعمون ان اثينا ولدت من رأس المشتري وكانوا يقولون ان ما اقتبسه العمران اليوناني من المشرق حديث او مقصور على شيء استعاره كالحروف الهجائية وبعض العبارات والمقاييس وكانوا يستثنون مصر الى عصر الاسكندر. الا ان المكتشفات الحديثة اوضحت ان نشوء العمران اليوناني لم يكن شيئاً قائماً برأسه اذ قد ثبت ان بلاد اليونان اتصلت بمراكز العمران القديمة شرقاً وجنوباً باقتباسها لعمران كريت السابق لعصر التاريخ وبالدرجة السامية التي بلغتها في كل الصناعات والفنون. فان جزيرة كريت وهي حلقة متوسطة بين ثلاث قارات كانت بحكم الوضع الجغرافي مهد العمران الاوربي الحديث. والعمران الذي دخلها من هذه القارات وجد فيها عمراناً قديماً جداً كما يستدل من بعض الدلائل الجيولوجية فان تل غنوسس[1] الذي وجدت فيه آثار العمران المينوي[2] يشبه تلال العراق ومصر في كونه مؤلفاً من طبقات من انقاض المباني. وآثار العمران المينوي فيه لا تشغل اكثر مما ارتفاعه ١٩ قدماً ويمتد تاريخها الى سنة ٣٤٠٠ قبل المسيح على الاقرب. وسمك الانقاض في التل كلهِ اكثر من ٤٥ قدماً. ولم تكن تتراكم بكثرة في العصر الظراني الحديث كما كانت تتراكم بعده ولكن لو فرضنا سرعة تراكمها في ابتداء عهدها بعيداً عنا نحو ٩٠٠٠ سنة. قليس في اوربا آثار من العصر الظراني الحديث اقدم من آثار هذا التل وهي تنقسم الى ثلاثة اقسام قديمة ومتوسطة وحديثة والطبقات السفلى تدل على عمران قديم راقٍ بما وجد فيها من فؤوس الصوان المنحوتة والخزف المصقول. فعصر كريت الظراني الحديث متوغل في القدم وآثاره اقدم من آثار العصر الظراني التي وجدت في بلاد اليونان وبر الاناضول ولكن بين هذه وتلك مشابهات كثيرة تدل على ان عمران كريت كان جزءاً من عمران قديم واسع النطاق شامل للقسم الجنوبي من بلاد اليونان وجزائر بحر سفيد وجانب كبير من اسيا الصغرى

ومما يستحق الالتفات في العاديات الغنوسية[3] تماثيل نساء مصنوعة من الخزف كبيرات الارداف وايديهن على صدورهن ولهن مثيلات في بلاد الساميين وفي الآثار المصرية

(١) نسبة الى الملك مينوس الذي يقال انه ملك كريت وسن شرائعها

(٢) نسبة الى مدينة غنوسس التي كانت قصبة كريت

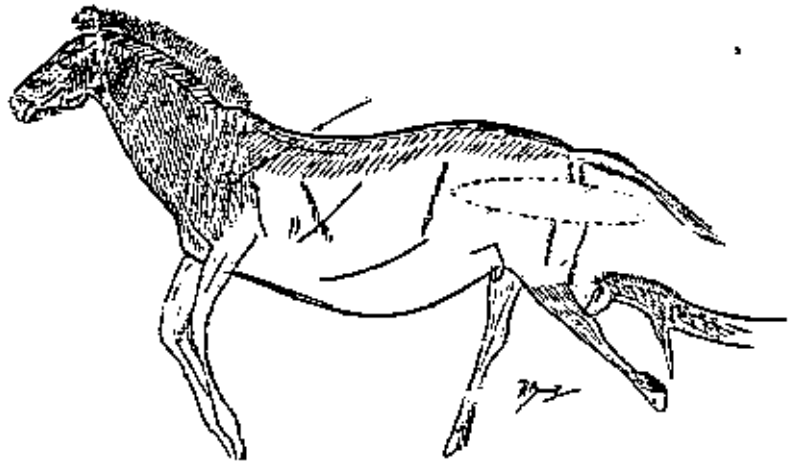

رسم فرس ومهرها من رسوم الاقدمين قبل التاريخ

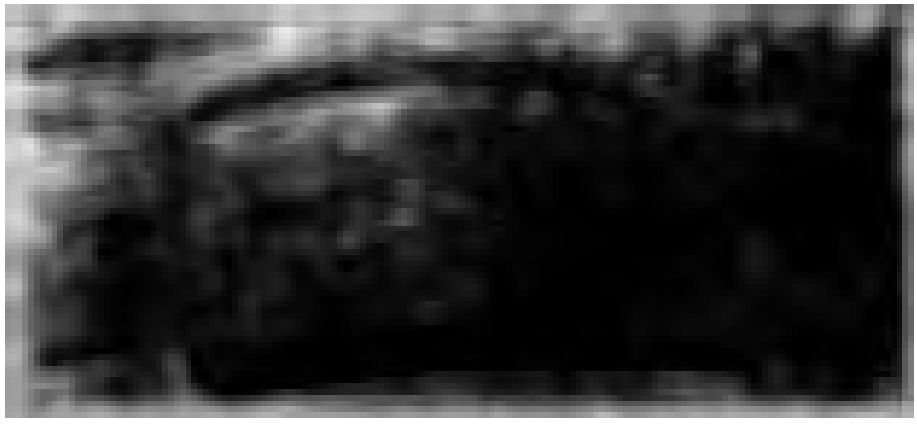

صورة نقوش وجدت في احد كهوف فرنسا القديمة

مقتطف نوفمبر ١٩١٦
امام الصفحة ٤٢٠

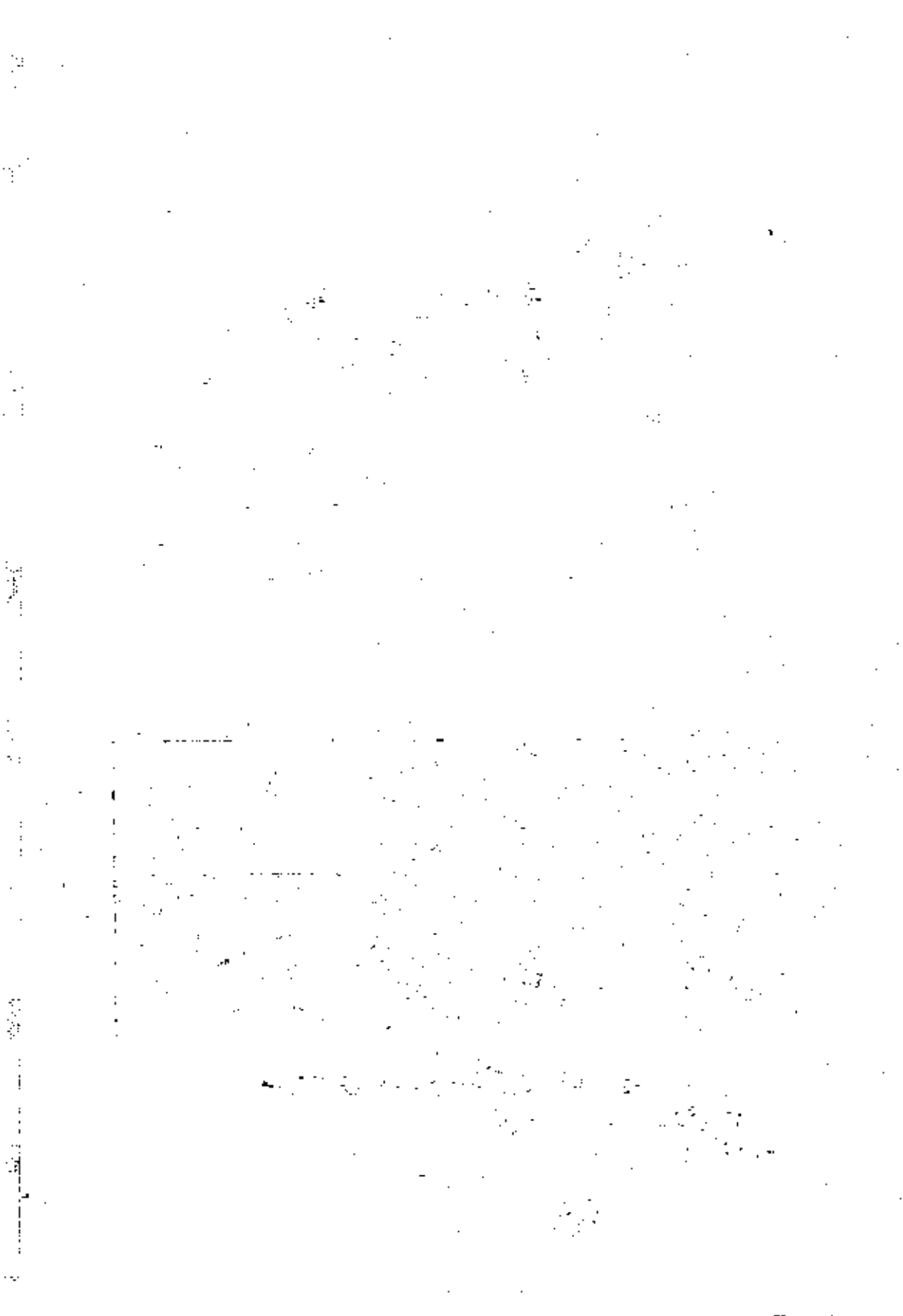

السابقة لعصر التاريخ وبلاد اليونان . وحيث توجد هذه التماثيل في كريت والاناضول كان الناس يعبدون الالهة التي يحسبونها امًّا للبشر . يقرانونها بتمثال طفل . وقد بقيت آثار هذه العبادة في الاديان الحديثة . وهناك دليل اخر يدلُّ على الاتصال القديم بين كريت واسيا الصغرى وهو الفأس المزدوجة التي صارت شعارًا لمعبد قصر غنوسس

ومن المحقَّق ان سكان كريت الاصليين اقتبسوا كثيرًا من عمران غيرهم ولكن عمرانهم بقي راسخًا في نفوسهم وكانوا يكتفون بما يحتاجون اليهِ ممَّا يجدونهُ عند غيرهم كما يفعل سكان الجزائر عادة ولذلك كانوا يستفيدون ممَّا يرونهُ عند الغير ولا يتقيدون بهِ كما فعل الفينيقيون فاقتبسوا كثيرًا ولكنهم لم يفقدوا استقلالهم

واول مؤثر اثَّر فيهم كان من مصر اما المؤثرات الشرقية فجاءت متأخرة وقد دلَّني البحث والتنقيب على ان المؤثرات العمرانية وصلت كريت من شمال افريقية قبل ان قامت في مصر دولة الفراعنة كما يستدلُّ من شكل الانية الحجرية واختيار المواد لها حسب اختلاف الوانها وانواع الرموز المنقوشة عليها وشكل الختوم المشابهة لما كان يصنعهُ سكان وادي النيل الاقدمون . والمشابهات كثيرة جدًّا تحمل على القول بان بعض المصريين الاقدمين هاجروا الى كريت حينما تغلَّب على مصر الشعب الذي منهُ الفراعنة

ثم بقي الاتصال بين مصر وكريت في عهد الفراعنة كما يستدل من وجود المصنوعات المصرية في كريت ومن اهتمام الكريتيين بتقليدها . وقد وُجد نَصَبٌ مصري في دار قصر غنوسس من عهد الدول المصرية الوسطى . واغرب من ذلك ما كان لعمران كريت من الاثر البيِّن في عمران مصر كما تدلُّ الدلائل الكثيرة كالكؤوس الميذوية الكثيرة الالوان البديعة المنظر . واهم منها تأثير الصناعة الكريتية في الصناعة المصرية حتى في القسم الديني منها وتأثير الديانة المصرية في الديانة الكريتية فان إلاهة الكريتيين تشبه إلاهة العالم السفلي المصرية

وقد اثبتت لي مكتشفاتي وابحاثي الحديثة ان الاتصال كان تامًّا بين كريت ومصر في العصر الميذوي واذا عرفنا ما اقتبسهُ العمران اليوناني من العمران الميذوي السابق لهُ اتضحت اهمية هذا الاتصال بمصر ولذلك لم تكن الديار المصرية منفصلة عن غيرها بل كان لها اكبر اثر في العمران الاوربي

والعمران الراقي الذي نشأ في كريت قبل التاريخ المسيحي باربعة آلاف سنة وضارع عمران بابل استمرَّ الى سنة ١٤٠٠ وهو زاهر زاهر وتسلَّط على كل جزائر بحر سفيد وعلى جانب

كبير من البلاد المحيطة ببحر الروم . وقد تجاسرت على تسميته بالعمران المينوي نسبة الى الملك مينوس ملك كريت ومشترعها على ما في الاخبار المأثورة ورانقني العلما على هذه التسمية . ويمكننا ان نقسم زمن هذا العمران الى ثلاثة عصور قديم ومتوسط وحديث وهذا التقسيم يقابل تقسيم الدول المصرية الى ثلاثة اقسام قديمة ومتوسطة وحديثة

ويضيق بي المقام عن وصف هذا العمران الاوربي الاقدم لكثرة مناحيه فقصور الملوك المينويين في ايام عزهم تفوق ما يماثلها من المباني المصرية والبابلية في هندستها وشمولها لما هو نافع مع ما هو جميل عظيم وفيها تحويط من التدابير الصحية . وما يرى في هذه القصور الرحبة الكثيرة الطبقات من المزايا يرى في سائر المساكن القديمة في الجزيرة كلها فقد كان فيها مدن كثيرة غير مدينة غنوسس وكان في هذه المدن صناعات بلغت غاية الاتقان اخصها صناعة ترصيع المعادن التي اتقنها الكريتيون فلم يفقهم فيها احد في عصر من العصور ولا في بلد من البلدان . وظهرت بدائع صناعتهم في القصور بنوع خاص فان سراديبها وحماشيها وارفقتها مزدانة جدرانها بالصور والنقوش البارزة التي تمثل الحيوانات اصدق تمثيل وفي اوضاعها ونصباتها من حسن التنسيق ما لم يشهد العالم مثلهُ من قبل كما يُرى في صور موقف الثيران الكبير عند باب غنوسس البحري وفي المناظر المثّالة في قاعة القصر العظيم

والذي يرى هذه المناظر يندهش من مشابهتها لما هو جارٍ الآن فترتيب اماكن الخدم وقيام السلالم بعضها فوق بعض واختيار الاماكن الامامية في المشاهد العمومية للنساء وصور ثيابهنَّ المكشكشة وكاوفهنَّ وقد لبسنها بايليهنَّ او علقنها على كراسيهنَّ واساليبهنَّ وقت الكلام وما يظهر عليهنَّ من الفنج والدلال كل ذلك ممَّا لو وجد في صورة من صورنا القديمة لاعجبنا به اشد الاعجاب . وما من مكان وُجدت فيهِ صور تمثل احوال الناس في العصور الغابرة تمثيلاً اكثر انطباقاً على الحقيقة من تمثيل قصر مينوس ولا تستثنى خرائب بمباي ولا يقتصر الاتقان على الاشياء الكبيرة المهمة بل يتناول ايضاً الاشياء الصغيرة الطفيفة كالختام الصغير الملاصق لغرفة المذكة ومغطسهِ المدهون ورقعة الدامة المطروحة في الدار وقوارير الزيت الذي يدهن بهِ والحواني التي كانت تملأ منهُ على مقربة من عرش الملك الكاهن والمقاعد التي يجلس عليها مشيروهُ والعقاريت المقدسة على جانبيهِ وكانت للشعائر الدينية دخل في كل شيء وكانت القصور هياكل للعبادة والقبور مقامات للزيارة . ولعلَّ اتقنهن منع المصورين والنقاشين من رسم شيء مخلٍّ بالآداب

وهنا امرٌ آخر في العمران المينوي لا يصحُّ اغفالهُ فانهُ لما اجتمع هذا المجمع في لڤربول سنة ١٨٩٦ قبل عُرفت نتائج التنقيب في كريت اشار فيهِ عالم مشهور بعلم العاديات في خطبة لهُ موضوعها « الانسان قبل الكتابة » الى الدرجة العليا من الحضارة التي بلغتها بلاد مسينا قبل استنباط الكتابة . اما انا فارى ان عمران مسينا مقتبس من عمران كريت وان الناس كانوا قبل ذلك يعبّرون عن افكارهم باشارات يرسمونها . ثم اننا قد رأينا في آثار كريت القديمة نوعاً من الكتابة وعرفنا درجات نشوئهِ وارتقائهِ ووجدنا كثيراً من الختوم المنقوشة والتي لطائفة من الخزف المكتوب اكثرها عقود لم نقرأ كتابتها حتى الآن ولكن فيها صور تدل على معنى الكتابة وفيها ما يظهر انهُ ارقام تدل على الاعداد حتى عشرة آلاف وبعض هذه العقود مختوم وترى تحت التوقيع توقيعات اخرى كأنها تزكية لهُ وهي تدل على انهُ كان في البلاد حكّام ونظام مدقق وتؤيد ما رواهُ الرواة عن الملك مينوس الذي يقال انهُ تناول الشريعة من الله على الجبل المقدس مثل حمورابي وموسى . واما القطع الخزفية التي وجدت في كريت في العصر المينوي الحديث فمقتبسة اصلاً من الشرق واصلها ما اقتبسهُ الكريتيون من قبرص لما احتلوها ومن ثم كثر اتصال الشرق بكريت وجلب الكريتيون منهُ المركبات واقتدوا بهِ في استعمال الختوم الاسطوانية

ولما اتّسع نطاق العمران المينوي حتى بلغ سواحل فينيقية وفلسطين كما بلغ قبرص كان قد تمكن من بلاد اليونان وبلغ صقلية واسبانيا والجزائر المجاورة لها والظاهر انهُ تناول شيئاً مما استمدهُ من بر الاناضول . وبعض اليونان الآريين اتصلوا بالعمران المينوي وهو في اوج مجدهِ كما يستدلُّ من اشعار هوميروس فان الاسلحة التي وصفها مينوية وترس اكلس بما عليهِ من الصور البديعة كان مثالاً للصناعة المينوية المتقنة والقيثار الذي كان الشاعر يغني عليهِ من اختراع اهل كريت . واذا التفتنا الى الشمائر الدينية وجدنا الهياكل اليونانية مشتقة من المباني المينوية ورسوم واجهاتها القديمة مقتبسة من واجهات المباني المينوية . واقدم الالهات اليونانية مثل اورثا الاسبرطية توصف باوصاف مثل اوصاف الام المينوية

وبعض اصول هذه الحضارة القديمة بقي في بلاد اليونان وبعضها دُفن في مهدهِ ثم ابتنع في السواحل والجزائر الشرقية حيث كان العمران المينوي ثم اعادهُ الفينيقيون واليونانيون الى مواطنهِ . وبقي جانب كبير منهُ رغماً عما حاق بالمملكة المينوية من الخراب قبل التاريخ المسيحي باثني عشر قرناً ورغماً عما فعلهُ الغزاة الذين هاجموها من الشمال فبني

عليه العمران اليوناني واضاء مصباحه مرة اخرى بالنور الذي انبعث منه في زمن سكان الكهوف الذين كانوا في العصر الحجري الاقدم

وجاء الرومان بعد ذلك فاستثمروا الميراث الذي ورثه اليونان من كريت وبنوا عمرانهم على اسس واسعة لجعله عامًّا شاملاً

فان كانت الحضارة الاولى التي وجدت في عصر الزنة قد شملت اكثر من شعب واحد واستجمعت اصولاً مختلفة من جهات شتى فاحرى بعمراننا الذي نشأ من العمران اليوناني الروماني ان يبلغ درجة سامية من الاتساع والارتقاء ولا ينحصر في بقاع ضيقة او يكون ملكاً خاصًّا بشعب دون آخر . ومهما تعددت الشعوب والالسنة فلسان اهل العمران واحد ومصالحهم مشتركة

ونحن الذين اجتمعنا هنا اليوم لكي نعمل على ما يقدم المعارف ويؤيد الحقائق لم تكن مهمتنا في وقت من الاوقات اصعب مما هي الآن . فقد قلَّ عددنا اذ اضطر كثيرون منا ان يذهبوا لخدمة بلادهم وكم منهم من ذهب ولن يعود مع شدة حاجتنا اليه وانقطع الاتصال العلمي بهذه الحرب الضروس التي شملت ويلاتها الممالك واضطرت الحكومة والشعب الى اهمال المصالح التي سبَّب اهمالها في الماضي ما نراه من المصاعب التي نحاول التغلُّب عليها الآن

ومما يذكر بالاسف الشديد ان جمهور امتنا لا يزال غائصًا في بحار الجهل بل في الخمول العقلي الذي هو اصعب علاجًا من الجهل وجهل الوالدين يظهر في الاولاد . والرغبة في تحصيل المعارف في مدارسنا اقل منها في سائر البلدان وقس على ذلك الرغبة في العلم لذاته والتعطُّش لتحصيله . ولكن هل نيأس من استيقاظ امَّة فيها ما ظهر الآن من الهمَّة والنشاط لما دعاها داعي الوطنية فنهض لمحاربة الحرب . وهل يشك احد في ان الامَّة التي دخلت هذا الاتون المتقد ستخرج منه امَّة جديدة خالية من كل رذيلة . فعلينا ان نتدرَّع بالصبر ونستعد لمحاربة عدو اعدى من العدو الذي يحاربنا الآن وهو الجهل والخمول والرغبة عن العلم واضاعة الوقت في اللهو واللعب

علينا ان لا نكف عن العمل بل نحرص على مصباح المعارف الذي وصل الينا من العصور الغابرة ونسلمه الى خلفائنا ونوره اسطع مما كان حينما استلمناه . وعلينا ان نكون من حماة المعارف وموَيدي التعليم وان نواظب على السعي في تأييد الحق واثقين ان نظام الكون يقتضي ان يكون كل جيل اقرب من الجيل الذي قبله الى الغرض السامي الذي نسعى اليه

الحركة التورانية الجديدة
في تركيا

لاحد ادباء الانكليز

كان اول ظهور هذه الحركة العظيمة الشان في الاستانة سنة ١٩١٣ ويسميها الترك « يني توران[1] » اي التوران الجديد . والآن تسمع الناس يتحدثون بها في كل مكان . ويمكن تعريفها بانها حركة يراد بها السير في جهة القومية التركية والابتعاد عن الاسلام . ويقال ان اغراضها ما يأتي :

(١) جعل روح القومية التركية مستقلة عن الاسلام (وهذه العبارة هي عبارة الدكتور الفرد نوسيج من حديث دار بينهُ وبين زعماء الاتحاديين ونشر في جريدة درتاج الالمانية) . (٢) ترقية الروح العسكرية بين الترك . (٣) انشاء علاقات تجارية وغير تجارية مع مسلمي شمال ايران (اذربيجان) وروسيا الاسيوية وجنوب روسيا . (٤) تحرير اللغة التركية من الالفاظ العربية والفارسية . على ان لها غرضاً آخر لا يُصرَّح بهِ بمثل هذه الصراحة وهو حرمان العرب من الحقوق القومية

اما ما يرمي اليهِ اصحاب هذه الحركة فهو جعل التركي العثماني تركيًّا اولاً ومسلمًا ثانيًا . وزمام الحركة في يد جمعية تمدُّها الحكومة بالاعانات المالية واسمها « ترك اوجاقي » اسيه « الموقد التركي » او الوطن التركي وهي تبذل المجهود في ترويجها بجميع المساعي . ومما توسلت بهِ لاستجلاب الشبان التركي انشاء مدارس تورانية واصلاح الطريقة المتبعة في المدارس العليا لتعليم تاريخ القبائل العثمانية وغيرها من القبائل التورانية . وقد انشئ جيش كبير من الغلمان الكشافة برعاية انور باشا فيرن هؤلاء الغلمان تمريناً عسكريًّا يؤهلهم لدخول الجيش عند الاقتضاء . ومعظم شاراتهم وجميع القابهم تركية صرفة سابقة لعهد الاسلام بين الترك . ومن كان اسمهُ عربيًّا أُبدل باسم تركي

وللحركة وجهة ادبية ايضاً فان كثيراً من الكتب العلمية والتاريخية يترجم الآن بلغة تركية بسيطة . وكان في النية ايضاً ترجمة القرآن ولكن عُدل عنها لمعارضة العلماء . وقد نشرت كتب كثيرة تدعو الى هذه الحركة منها رواية « يني توران » من قلم خالده هانم وهي تمدح

(١) المقصد معنى التورانية غير الايرانية أطلقت على الشعوب المتوطنين خارج بلاد ايران اي الى الشمال والشرق منها او في تركستان

فيها هذه الحركة وتدافع عن حقوق المرأة فالجمع بين حقوق المرأة والحركة التورانية يظهر غريباً في عيون الذين يعلمون ان القبائل التورانية بخست المرأة حقوقها في العهود الماضية اكثر من سائر امم الارض مجتمعة

والمقول ان اسباب هذه الحركة متعددة احدها مسألة اللغة فان اللغة التركية المركبة من عدة لغات والمكتوبة بحروف عربية تزداد كل يوم عسراً واستغلاقاً على التركي غير المتعلم وليس البحث في ذلك من شأننا هنا . ومن تلك الاسباب ان مسلمي روسيا والقوقاس حنّوا الحزب القوي الداعي الى الجامعة الاسلامية بين الاتراك الاحرار على استجلاب مسلمي اسيا الوسطى وشمال ايران والقوقاس اليهم ولاسيما ان فريقاً منهم تتركو والفريق الآخر قابل لهذا التتريك والاّ لابتلع العرب الترك العثمانيين في آخر الامر ولو فاز هؤلاء باستخدام الجامعة الاسلامية لبلوغ غاياتهم

وهناك سبب ثالث وهو ظهور الكتاب الآتي ذكره فان ولادة هذه الفكرة عند طول زمانها نشأت على ما يظهر من قراءة ناظم بك (السكرتير العام لجمعية الاتحاد والترقي واقوى زعمائها على ما يقال) لكتاب ليون كاهون وهو كتاب تاريخ الترك والمغول في اسيا من مبدإ نشأتهم الى سنة ١٤٠٥ . وقد ظهر هذا الكتاب سنة ١٨٩٦ واسمهُ بالفرنسوية : "Introduction a l'histoire de l'Asie; Turcs et Mongols; des origines à 1405"

وقد اعتمد المجمع العلمي الفرنسوي هذا الكتاب وهو على غاية ما يكون من البحث العلمي وصحة السند وحسن الديباجة . اما كون بعض ما فيه من الاحكام صحيحاً او غير صحيح فهذا لا نتعرّض لهُ

وظاهر ان الحركة التي ترمي الى « جعل روح الترك القومية مستقلة عن الاسلام » لا بدّ ان تكون عظيمة الشان عند الطوائف الاسلامية الكبرى وعند الدول التي بين رعاياها كثيرون من المسلمين كفرنسا وروسيا وايطاليا وانكلترا . فلا بدع اذا اتجهت اليها الانظار في الشرق والغرب معاً . ويقال ان احرار الترك يميلون اليها بوجه خاص بناء على القاعدة القديمة التي رسمها شمبيري اليهودي المجري المعروف وهي ان « لا وطن في الاسلام » . وحجتهم انهُ كان من مآل الاسلام تحت تأثير العوامل والتقاليد العربية والفارسية واليونانية والبيزنطية جعل الترك امة شرقية ليس لها عمران خاص بها . وفي هذا القول ما فيهِ من قلب الحقائق ووقائع الحال فلا بدع اذا بحثنا في ماهية هذه الحقائق والوقائع وفيما تفضي اليهِ . فما هي النعرة القومية التركية وما هي علاقتها بالاسلام

كانت القبائل التركية في اوائل عهد المسيحية تقطن بلاد اسيا من حدود الصين الى نهر جيحون (اوكسوس او امودار يا كما يسميهِ الترك) . وكانت ديانتها — ان كانت لها ديانة — ما يسمى « بالشامانية » اي عبادة قوى الطبيعة بالشعوذة والسحر . وكانت حضارتها حضارة سائر القبائل الرحّل الذين في اسيا الوسطى وهي حضارة ذات قواعد بسيطة تبعاً للبقعة واحوال المعيشة . واخص خواصها المميزة لها ميلها الى الحرب واتسامها بسماتها . فكانت تستأجر للقتال وعليهِ كان شرفها شرف الشاكرية والمسترزقة اي الولاء لكل من قادها واطعمها . وفيما خلا ذلك لم يأتِ التركي امراً ذا شأن من تلقاء نفسهِ فلم يضع اساس دين خاصّ بهِ ولا انشأ مدنية ممتازة . ولم يحاول احد من الترك توحيد الامة التركية كلها وجهد ما في الامر ان جنكيزخان المغولي فكّر في ذلك ولم يفعلهُ . ولم يخرج التركي عن كونهِ مقتبساً او مستعيراً اي انهُ كان يلبس لبوس كل بيئة كان ينزل فيها من الصين الى فارس فالعربية فرومية الشرقية فجرمانيا . وليس بصحيح ما يقال من ان عواريهُ (اي الاشياء التي استعارها) واعظمها الاسلام حالت دون انشائهِ مدنية خاصّة بهِ . فالواقع انهُ لم يشفّ عن ميل الى ابداع المدنيّات بل الى اقتباسها

والتركي العثماني اقلّ القبائل التركية تمثيلاً لاصلهِ . فهو ليس الآن شعباً محدوداً يحكم امماً وبلاداً بحق الفتح . وربما صحّ هذا القول فيما مضى على العثماني الذي نزل اوربا وارمينية ولكنهُ لا يصدق على الذين نزلوا بلاد الاناضول التي كانت ولا تزال مجمع القوة العثمانية . واذا ضربنا صفحاً عن قبائل اليوروق والتركمان الرحل لم نجد في ترك الاناضول الآن سوى اثر ضئيل من التركية . فان قوميتهُ تعبير سياسيّ ودمهُ مزيج من قطرة تركية متضائلة وقطرات من دماء شعوب كثيرة كانت قد أسلمت وشاخت يوم بنيت الاستانة كالروم والفريجيين والغلاطيين والايسوريين والكاريين والحثيين . وهذا الدم هو الذي سال بهم الى حرث الارض وزرعها . واذا البسوا ملابس الاوربيين ظهروا مثلهم . وكانت قوام قوتهم البحرية القصيرة العمر في القرن السادس عشر امراء من دم اوربي

والفضل في احتفاظ التركي بوحدتهِ كأمة عائد الى امرين الاسلام وطاعتهِ العسكرية . وهو لا يهتمّ بما اقتبس حكامهُ من الفلسفة الفارسية والقواعد البيزنطية لمعاملة امراء البيت المالك . اما الاسلام فيهتمّ بهِ من بعض الوجوه حتى بات عنوان الحضارة التركية وشعارها معما يكن الاختلاف الذي طرأ عليهِ بعد اقتباسهِ لهُ كثيراً . وهو الذي حفظ بنيان الدولة . وان كان التركي يعنى بالاسلام فذلك لانهُ ينطوي على مزيتهِ العسكرية التي هي اقوى

العواطف فيه. فقد الغى الاسلام منصباً للامر فلم يجادل فيه ولا جذب بشعائره ولكنه طول عهده به ما زال يدافع عن الذين انقذوه عن رضى واقتناع. فكان للاسلام سيفه. خذ الاسلام من القومية التركية وانظر ماذا يبقى منها

يقول التوراني انك اذا اخذت الاسلام من القومية التركية يبقى فيها المبدأ التوراني اما الاسلام فيظهر بمظهر جديد ويكون ديناً قومياً. ولكن التورانية لم تبدع شيئاً خاصاً بها لتعرضه على الانظار فقد كان تاريخها تاريخ تدمير. فالويشي دمروا الحضارة اليونانية في بلخ. والهن (قوم القائد اتلا المشهور) حاولوا استئصال دم الرومانيين في الشرق والغرب. والاوار حاولوا قتل الامة الصقلبية وهي في المهد. وهولاكو خرب قنوات العراق وترعه وجعل اخصب بلاد الله قفراً بلقعاً كما ترى الآن. والعثمانيون ابادوا المدنية البيزنطية التي كانوا يعيشون عليها — هؤلاء هم التورانيون. ثم ان اتلا «نقمة الله» وجنكيز خان الذي لقب نفسه في بخارى «غضب الله وعصا تخطفه» — هذان تورانيان ايضاً. ولم يكن الالماني وهو يساق سبايا البلجيك امامه الى ميدان القتال سوى مقلد لما كان المغول والاوار والهن يفعلون كل يوم. والفرق ان هؤلاء كانوا يعطون اسراهم سيوفاً يحاربون بها. وهذا ما يحمل الواحد منا على انكار بعض الاحكام والاستدلالات التي ابداها كاهون في كتابه. فان الناس لا يصدقون ان تيمور لنك كان شهماً او جنكيزخان سياسياً. وبينا ترى كاهون يشدد بحق في بيان فضائل التركي العسكرية لا تراه يبين لنا نقائصهم العسكرية بمثل تلك الشدة وذلك الافصاح

على ان ما فات كاهون بيانه لم يفت كاتباً آخر جاء بعده وهو الدكتور بيكر فانه صور الترك والمغول باشنع مما عرفوا به من عهد المؤرخ جبن (الانكليزي) حتى اننا قلما رأينا كاتباً فاقه في ذم الفظائع والمنكرات التي كان هؤلاء الاقوام يأتونها على الدوام لاذلال الامم التي خضعت لهم ولابادتها. وليس هذا الزمان زمان تمجيد المدمر والمخرب فان بروسيا ودعاتها التوراني مشهور تزعم انها ستبني حيث تخرب الآن. وجميع الادلة تدل ان العود الى عهد التركية انما هو عود الى عهود الغزو والنهب. ولما خطب امبراطور الالمان في جنوده وقال لهم اذا امرتم فاقتلوا كل احد حتى آباءكم فقد كان يشم من هذه العبارة ريح التركية الوثنية الحقيقية التي زهت منذ الف سنة للبلاد

ان التركي خلو من قوة الاستنباط الديني فيستحيل علينا ان نتصوره ساعياً في ابداع دين قومي يتطلب شعوراً قومياً حقيقياً. ونرى التركي حدود الاناضول موطنه ما باليد

كثيراً في نوع حكومته على شرط أن لا يضرّ جيرانهُ ولا يبقى ذيلاً لالمانيا. ولكن واقع الامر ان هذه ليست تركيا التي يحدث التوراني نفسهُ بها بل هو يريد السلطنة العثمانية كلها وربما أراد شيئاً آخر مضافاً اليها اذ لا يكاد يعقل ان العلاقات التي أُشير بتوثيقها مع مسلمي روسيا تقتصر على الشؤون التجارية كما جاء في صدر المقال بل لا بد ان تتناول اشياء اخرى غير التجارة

ومهما يكن من الامر فلا مشاحة ان تلك العلاقات ترمي الى حرمان العرب حقوقهم القومية. فان التركي يخالف العربي لاعظم مطاليبهِ ويقول جهاراً اني ان لم «افعل اللازم» بالعربي فلا بدَّ «ان يفعل اللازم» بي قريباً. لذلك لا مندوحة من تتريك العربي على احسن النماذج البروسية اي كما فعلت بروسيا في ولايتي شلزويج وهولشتين (اللتين اخذتهما من الدنمرك منذ نحو ٥٠ سنة) حيث حظرت على الاولاد الصلاة باللغة الدنمركية. وقد باح بعض كتّاب الترك بسرّ هذه السياسة فقال جلال نوري بك في كتاب ألفهُ حديثاً «لا بد من تصيير البلاد العربية ولاسيما العراق واليمن مستعمرات تركية تنشر فيها لغتنا لتصير هذه اللغة لغة الدين متى آن اوان ذلك. فان تتريك البلاد العربية من الزم لوازم وجودنا لان فكرة القومية اخذت تستيقظ في صدور الشبّان العربي وهي تهدد بنيان دولتنا فلا بدَّ لنا من اعداد العدد لمقاومتها». وقال احمد شريف بك في جريدة طنين «ان العرب يتكلمون بلغتهم ويجهلون التركية كلّ الجهل كأن بلادهم ليست تابعة لتركيا. فالواجب على الحكومة ان تجعلهم يتعلمون لسانها ويستبدلوهُ بلسان الامة التي تحكمهم. واذا تناست الحكومة هذا الواجب كان مثلها مثل الذي يحفر قبرهُ بيديهِ. لانهُ ان لم يتعلم العرب لسانهم وتاريخهم وعاداتهم سعوا في اعادة مملكتهم القديمة على انقاض العثمانية». وقال كاتب آخر في منشور وزع على نفقة الحكومة العثمانية في القوقاس «لقد كان العرب مصيبة علينا فان جواد غازي تركي افضل من انبياء الامم الاخرى»

هذا بيان وضع عمداً لاستئصال قومية امة من الامم. والدول المتحالفة تدافع عن مبدإ القومية اشد دفاع وتقول انهُ لا يجوز لامة من الامم ان تمنع امة اخرى من ان تعيش عيشة خاصة بها منفصلة عن غيرها. وعليهِ فانها تميل بكليتها الى نصرة العرب في هذه المسألة. اما الامم المسلمة العظيمة التي تحكمها فرنسا وانكلترا فلا محلّ للريب في اميالها — فانها مع العرب ايضاً. والسبب الاكبر في ذلك كون الاسلام نشأ فيهم. وبعض السبب وخصوصاً في الاملاك الفرنسوية بشمال افريقية علم اهلها ان بينهم وبين العرب صلة نسب. ومع ان المسلمين الذين هم خارج تركيا لم يرقهم عبث الترك بالاسلام فانهم سلموا بالخلافة

التركية اعتقاداً بان سلاطين آل عثمان اقوياء قادرون على رفع شأن الاسلام في عيون الاجانب . وقد آن الاوان الذي يتمكنون فيه من الرجوع عما سلموا به قبلاً

ان مصاب حلفاء المانيا بها مصاب عظيم اذ الظاهر ان الالماني يعتقد ان الشيء يمكن ان يكون وان لا يكون في وقت واحد معاً . فهو يستغيث بكل قانون دولي او غير دولي من جهة في حين انهُ يحرق القوانين من اوجهه الاخرى . وتراهُ يبني الاسلام بيد ويهدم باليد الاخرى . ففي الشرق نادى امبراطور الالمان بنفسهِ انهُ صديق المسلمين الصدوق حتى ادعى بعض المسلمين انهُ اعتنق الاسلام . ونودي بالجهاد لحمل المسلمين على القتال في جانب المانيا فاخفق ذلك النداء . وبُذلت المساعي الكثيرة لحمل الاسرى المسلمين من رعايا فرنسا وانكلترا على نبذ ولائهم لدولتيهم بدعوى ان الواجب يقضي عليهم بمقاتلة الكفار دفاعاً عن الترك والاسلام فتشلت هذه المساعي ايضاً

هذا هو الوجه الاول من هذه الصورة . اما الوجه الثاني فكلهُ عبر فان اول ما شاهد الناس من آثار مقاومة المانيا للاسلام والعمل ضدهُ كان يوم وقع في يد الجنرال مطس في موشي نسخة من ذلك المنشور المشهور الذي وزعتهُ الحكومة الالمانية على حكام مستعمراتها الافريقية في اكتوبر سنة ١٩١٣ تسألهم فيهِ عما هي افضل الوسائل لتقييد ظل الاسلام في المستعمرات الالمانية وهل يمكنها سن القوانين لالغاء الاسلام من تلك المستعمرات ومنع الناس فيها من الجري على اوامرهِ ونواهيهِ

وعلى هذا الاثر قامت الحركة التورانية . واذا رأى الناس اثراً من المانيا في كل وادٍ فلا تلم الا نفسها . ولكن لا جدال في ان زعماء الاتحاديين هم ظهيرو هذه الحركة التي يراد منها فصل القومية التركية عن الاسلام وجعلها مستقلة عنهُ . وغني عن البيان ان حركة مثل هذه لا تقوم لها قائمة ولا تزهو جهرةً لو كانت المانيا منكرة لها والمانيا هي كل شيء في تركيا

كتب قمبيري المجري منذ ثلاثين سنة يقول انهُ يجب على تركيا اما ان تُغرب (تصير غربية) واما ان تهلك . ولما كانت لا تستطيع الاول فلا مناص لها من الثاني . نعم ان احرار الترك اقتبسوا بعض الشيء من الغرب ولكنهم اقتبسوهُ من النظام البروسي المقضي عليهِ بالفناء . وقد انتهى سلطانهم ودنت آخرة ملكهم يوم رفضوا ضمان الحلفاء لاملاكهم . وستبدي لنا الايام هل يستطيع العثماني انشاء دولة في الاناضول من غير ان يتبع الاساليب الغربية بصدق واخلاص . ولكن لا حاجة بنا الى الزمان لنرى ان ايادة القومية العربية على المنوال البروسي التركي فكرة مقضيٌ عليها بالفشل بعد ان قامت قائمة العرب في مكة والمدينة

الشيخوخة وامانيُّ حيوية

نقلاً عن العلامة متشنيكوف

(١) لمحة من تاريخ حياة متشنيكوف

ولد متشنيكوف في روسيا سنة ١٨٤٥ ومات في باريس في ١٥ يوليو سنة ١٩٠٦ . تلقى دروسهُ الاولية في كاركوفا فسقط رأسهِ واتمها في جيسين وغوتنج وبرلين وسنة ١٨٧٠ عين استاذاً للجيولوجيا في اودسا وسنة ١٨٨٢ غادر روسيا وسافر الى مادیرا ثم الى تنانا ريف ومنها استدعاهُ باستور الى باريس فتتلمذ لهُ وتابعهُ في البحث والتنقيب الى ان قُبض فتولى بعدهُ ادارة المعهد وبقي في كرسي الرياسة بدون معارض الى آخر ساعة من حياتهِ

وقد بلغ مقاماً عالياً من العلم واشتهر اسمهُ في جميع الاقطار والامصار وكان حجة في الفلسفة الوضعية والمعارف البيولوجية ولاسيما في علم اجنة الحيوان . وفتحت مباحثهُ سبيلاً الى الاكتشافات العلمية التي يرجى منها خير كبير للانسانية فكان عوناً كبيراً لشفاء الحمى القلاعية ومرشداً للبحث الدائب في شفاء الزهري والسرطان والماء الاصفر والالتهاب السحائي الشوكي وهو الذي اكتشف مكروب الخمير الليتي واثبت فائدتهُ في الالتهابات المعوية واظهر ان اللبن الرائب من افضل الاغذية الصحية للانسان وانهُ من اهم اسباب طول الحياة في الشعوب التي تعتمد في غذائها عليهِ

واهم اكتشاف لهُ ثبتت صحتهُ وسلّم بهِ العلماء حتى خصومهُ ويرجى منهُ خير للانسانية في المستقبل هو الفاغوسيت الذي سيقف القراء على وصفهِ وفعلهِ فيما سيأتي

وقد ترك مؤلفات جليلة كانت في حياتهِ موضوع المناظرة بين العلماء ومنها كتاب البحث في الشيخوخة الذي نقلنا عنهُ المقالات التالية لما فيها من الفائدة ولذة البحث ليقف قراءه المقتطف على آراء ذلك العالم الكبير الذي نقلت كتاباتهُ الى كل لغات العالم المتمدن ولهُ ما عدا هذا مؤلفات كثيرة وهي « دروس في پاثولوجية المقابلة » و« المناعة في الامراض العفنية » و« دروس في الطبيعة البشرية » و « امتحان في فلسفة التيمُّن » و « ملاحظات على مولدات الاسماء » وجمع اراءهُ في كتابهِ « المناعة » ولهُ كثير من الرسائل في المجلات العلمية واخصها مجلة معهد باستور

وقد استحق بجهاده جائزة نوبل ونال اوسمة الشرف من فرنسا وانكلترا وروسيا وكان عضواً في اكاديمية الطب في باريس .

(٢) في الشيخوخة واختلاف نظر الامم فيها

وجه متشنيكوف الالتفات الى الشيخوخة في كتابه « دروس في الطبيعة الانسانية » وكان لهُ فيها نظريات خاصة قام عليها الجدل في سوق العلم فاضطرتهُ المناظرة الى درس المسئلة درساً خاصًّا لان لها في نظره اهمية عملية خلا اهميتها النظرية فتوسع في درسها ووصل بعد صبر طويل وجهد كبير الى اكتشاف جليل سيكون لهُ في المستقبل شأن كبير في حياة الانسان وهو الفاغوسيت (Fagocyte)

***

والشيخوخة كما يعلم الجمهور هي دور الانحطاط من ادوار الحياة وهي في الانسان شاغلة لبالهِ وموجبة لاهتمامهِ يهلع قلبهُ كلما قرب خطوة منها واذا بلغت احد الذي تخسر الوظائف فيهِ قوتها الطبيعية قال متحسراً

يا ليت الشباب يعود يوماً فاخبرهُ بما فعل المشيبُ

واذا رأينا هرماً احدودب ظهرهُ وانطفأ بصرهُ وذهب عقلهُ وارتجفت اطرافهُ تمنينا لهُ الموت تخلصاً من حياة عذاب لا فائدة لهُ منها ولهذا فالشيخوخة مسئلة فيها نظر تستوجب حلاً مرضياً اما بتخفيف شقائها بالوسائل العلمية حتى تصبح دوراً من ادوار الحياة قليل الشقاء او لا شقاء فيهِ او بالوسائل الاجتماعية حتى يجد الشيخ ملجأً يلجأ اليهِ في عاهتهِ التي اقعدتهُ عن القيام بمعيشتهِ ويجد فيهِ بعض السلوى عن شقاء لا محيص لهُ منهُ . وهذا ما دعا متشنيكوف الى التعمق في درس هذا الموضوع

***

يختلف حل هذه المسئلة في نظر الامم باختلاف رقيهم ومدنيتهم فهي بسيطة عند الشعوب المنحطة يحلونها بقتل شيوخهم . ومعقَّدة عند الامم المتمدنة اذ يدخل فيها عندهم الشعور الراقي والنظام الاجتماعي العام . فاهالي ميلانيزيا يدفنون شيوخهم الذين لا يستطيعون القيام بعمل ما احياء واهالي ارض النار اذا هددتهم المجاعة قتلوا عجائزهم واكلوهن وابقوا على الكلاب واذا سئلوا عن ذلك اجابوا ببساطة وبدون تكلف ان الكلاب تصطاد السمك واما النساء فلا . اما اهالي البلدان المتمدنة وان كانوا لا يقتلون شيوخهم فهم يحسبونهم عبئاً ثقيلاً عليهم ويتمنون لهم الموت العاجل واذا طالت حياتهم تاففوا منهم وتبرموا . ويزعم

بعض الناس ان للنساء سبع ارواح و يقول آخرون ان للعجوز روحاً واحدة لا تعطيها الرحمن ولهذه المزاعم القومية تأثير في موت الشيوخ الجنائي حتى في ارقى البلدان مدنية . ان حوادث الجرائم التي تقع على الشيوخ وخصوصاً على العجائز كثيرة وسببها ما تقدم وهو ينطبق على ما قاله احد المنفيين الى جزيرة تخالين لطبيب السجن وكان قد حكم عليه بالنفي اليها لانهُ قتل بعض الشيوخ فقد قال لهُ « ما الذي يدعوكم الى الشفقة عليهم فهم عجائز لا تنفع منهم فان لم يقتلوا فموتهم ليس ببعيد »

فحالة الشيوخ السيئة تعرّضهم لخطر الموت قتلاً وتزيد خطورة بميلهم الى الانتحار تخلصاً من شقائهم لان حرمانهم من وسائل الحياة واصابتهم بالامراض الثقيلة العديمة الشفاء تحملهم ان يفضلوا الموت على الحياة بذلّة . وفي اخبار الجرائد شواهد كثيرة على انتحار بعضهم بشتى انواع الضم وهو ثابت من الاحصاءات الرسمية المستندة الى وقائع حقيقية من زمن بعيد الى الآن من ذلك ان في سنة ١٨٧٨ كانت نسبة الانتحار في بروسيا لكل ١٠٠٠٠٠٠ نسمة ١٥٤ من سن ٢٠ — ٥٠ و ٢٩٥ من سن ٥٠ — ٨٠ ومنها ان النسبة في الدنمارك فيما العدد في مدة عشر سنين اي من سنة ١٨٨٦ — ١٨٩٥ كانت في كوبنهاغن ٣٩٤ من سن ٣٠ — ٥٠ و ٦٨٦ من سن ٥٠ — ٧٠ فيكون معدل الانتحار ٣٦ في الكهول و ٦٣ في الشيوخ

فلا غرو اذاً اذا عُني رجال السياسة ومحبو الانسانية بتخفيف عناء الشيخوخة في الفقراء وسنّوا القوانين لهذه الغاية . فقد سنوا قانوناً في الدنمارك سنة ١٨٩١ يقضي بمساعدة الشيوخ مساعدة اجبارية وبحق المساعدة لابن ٦٠ سنة اذا كان معوزاً فنتج من ذلك دخول ٢٤٦ من العجزة و ٣٦ شخصاً الى ملجإ العجزة في سنة واحدة (وهي سنة ١٨٩٦) انفق عليهم نحو خمسة ملايين ونصف من الفرنكات

وقانون البلجيك يقضي بمساعدة العجزة من سن ٦٥ فصاعداً

واما في فرنسا فجروا على معاقبة العجزة بالعقاب المفروض على الشحاذين ليتمكنوا من القبض عليهم وارسالهم الى الملجإ العام ثم سنوا قانوناً سنة ١٩٠٥ يقضي بمساعدة كل فرنساوي بالغ السبعين لا معين لهُ ولا استطاعة لهُ على كسب معاشهِ او مصاب بعاهة او بمرض عديم الشفاء

غير ان هذه القوانين الدالة على رقي الشعور الانساني ونمو عاطفة الشفقة في الجماعات لم تفد الشيخوخة فائدة جلية اذ ليس فيها ما يوجه النظر الى تأخير الشيخوخة وابقاء الشيوخ في حالة من القوة يستطيعون بها ان يكسبوا معاشهم من عملهم مع ان الشيخوخة ظاهرة من ظواهر

الحياة توجب على رجال العلم ان يدرسوها بالطرق العلمية لعلهم يتوصلون الى وضع القواعد الصحية التي تمكن الانسان من الوصول اليها وحفظ من قوته وشبابه ما يكفل له معاشهُ بدون ان يضطر الى الاستعانة باحسان المحسنين ولذلك يجب ان تدرس الشيخوخة في ملاجئ العجزة درساً منظماً للتمكن من وضع نظام موافق وشروط حسنة لحفظ القوة في هذا السن . على ان اقصى حدّ الشيخوخة اي المئة وما فوقها لا يشاهد الاَّ نادراً جدًّا في الملاجئ او لا وجود لهُ فيها . ومع ان النساء اطول عمراً من الرجال ويبلغ منهنَّ سن المئة اكثر من الرجال فالبالغات هذا السن لا يشاهدن الاَّ نادراً او صدفة في ملاجئهن واما في بيوت العيال فالذين بلغوا المئة ليسوا بنادرين وعليهم المعول في هذا الدرس

نرى في اغلب الشيوخ البالغي المئة انحطاطاً عظيماً في العقل بحيث لا يبقى مجال للبحث الاَّ في حالتهم المادية اي في تركيب بنيتهم العضوية . وقد وقفنا على حالة عجوز في سن المئة كانت في ملجإ السالبتريير من بضع سنين وكان ذلك الملجأ يفتخر بوجودها فيهِ وهي دردبس ملازمة السرير ضعيفة القوة البدنية ومنحطة العقل كثيراً تجاوب باختصار على ما تُسأل عنهُ بدون ان تفهم معنى السؤال

وكان من مدة قريبة في ضواحي روان عجوز مئوية تكلمت عليها الجرائد المحلية كثيراً واقاضت في وصف قوتها البدنية وحالتها العقلية فقصدناها لندرس حالتها درساً دقيقاً فوجدنا ان وصف الجرائد لها كان في غير محلهِ لان عقلها كان منحطاً كثيراً فلم نجد سبيلاً لنبحث فيها ولو بقليل من الاهمية اما قوتها البدنية فكانت على نوع ما محفوظة

واهم مَن وقع تحت مشاهدتنا من الذين بلغوا المئة مدام رويينو وهي عجوز قاطنة في ضواحي باريس وبالغة من العمر مئة وسبعاً وهي قصيرة القامة نحيلة الجسم محدودبة الظهر تتوكأ في مشيها على عصا وحالتها البدنية حالة انحلال . لم يبقَ لها سوى سنٍّ واحدة واذا مشت يضع خطوات اضطرت الى الجلوس واذا جلست جلوساً مريحاً استطاعت ان تبقى على وضعها مدة طويلة وهي تنام باكراً وترقد في السرير وقتاً طويلاً . وتقاطيع وجهها توافق عمرها الاَّ ان جلدها ليس بكثير التجعد واما جلد يديها فرقَّ الى ان اصبح شفافاً تبين من تحتهِ العظام والاوردة والاوتار

وجدنا حواسها ضعيفة جدًّا فهي لا تبصر الاَّ بعين واحدة وشمها وذوقها اصبحا اثريين ولم يبقَ الاَّ السمع سليماً على نوع ما وفحص اذنها الدكتور لوبتوغ المشهور بامراض الاذن فوجد ضعف السمع الخاص بالشيوخ بدرجة متقدمة فيها اي الصمم المطلق للاصوات الحادة

كثيراً والصمم الخفيف للاصوات الثقيلة . ويعلل لو بنبرغ ذلك بكون حوّل الاذن يزيد بزيادة عمر الشيخ ويتجه تأثيرهُ بنوع خصوصي الى عضو السمع ولكنهُ لا يصيب الجهاز الموصل للصوت

ورغماً عن ضعف بنيتها لم يشتد ضعف عقلها فهي على جانب كبير من اللطف وشدة العطف والحنان وحسنة المراعاة لنظائرها عكس ما هو مشهور عن الشيوخ بجهم الذات وحديثها معقول واستدلالها حسن

وظهر لنا من فحص وظائف جسمها امور كبيرة الاهمية فوجد الدكتور امبارد باستقصاء صدرها ان ضربات قلبها طبيعية وعدد نبضها من ٧٠ — ٨٤ في الدقيقة وان رئتيها سليمتان وهي حالات تدل على صحة جيدة الأ ان اهم ما اجتذب نظرنا في فحصها هذا هو عدم وجود اليبوسة في الاوعية عكس ما هو شائع ومعروف من ان يبوسة الاوعية هي حالة ملازمة للشيخوخة

ودلّ فحص بولها على انها كانت مصابة بعلة كلوية مزمنة ولكنها خفيفة الوطأة

ورغماً عن ضعف الذوق الزائد كانت قابليتها جيدة الأ انها كانت تأكل قليلاً وتشرب قليلاً وكان غذاؤها نوعاً لا يدخل اللحم فيهِ الأ قليلاً وتغذى غالباً بالبيض والسمك والبقول والنشريات والاثمار المطبوخة وتسقي الماء المحلى بالسكر ممزوجاً بقليل من الخمر البيضاء واذا قدم لها قدح من الخمر الحلوة بعد الطعام فلا ترفضهُ ويقال بالاجمال ان الهضم ووظيفة الامعاء فيها كانا على العموم قانونيين

غلب على ظن العموم ان طول الحياة صفة وراثية تنتقل من الآباء الى الابناء وهو ما لا ينطبق على هذه العجوز لان والديها لم يعمرا ولم يعرف احد من عائلتها بلغ المئة فهي اكتسبت العمر الطويل بنظام معيشتها الذي سارت عليهِ كل حياتها وهو الاعتدال والقناعة . فقد اقترنت بتاجر خشب وسكنت مدة طويلة في ضواحي باريس وعاشت بسعة وكان طبعها لطيفاً وهادئاً وعاشت عيشة عائلية مؤثرة الانفراد في بيتها لا تخالط الناس الأ ما قلّ . وبعد ان بلغت المئة وستاً فقدت ذاكرتها تقريباً بتمامها وصارت تهذي كثيراً الأ انها بقيت رضية الخلق

***

هيئة الشيوخ معروفة لا تحتاج الى شرح طويل . يجف جلد الوجه ويتجعد وكثيراً ما يصفرّ ويشيب الشعر ويخفي الظهر ويبطؤ المشي وتخف الحركة وتضعف الذاكرة ويزعم كثيرون ان الصلع صفة خاصة بالشيوخ الأ انهُ زعم لا نصيب لهُ من الصحة لان الصلع يبتدئ باكراً ويسير سيرهُ بتقدم العمر واذا لم يصلع الشاب فلا يزيد صلعهُ في الشيخوخة

هذه اوضح الظواهر في الشيخ وهي تدل على الضمور العام وخسارة العناصر المادية من كافة الانسجة . وقد دلت القياسات الكثيرة على ان الانسان يخسر من طول قامته اكثر من ثلاثة سنتيمترات (٣٫٦٦) بين الخمسين والخمس والثمانين من عمره والمرأة ٤ سنتيمترات و٣ سنتيمترات وقد تبلغ الخسارة ٦ او ٧ سنتيمترات . ويأخذ الوزن يتناقص من الستين فما بعدها و يبلغ معدله ٦ كيلو غرامات في الثمانين . وهذا النقص في الطول والوزن دليل على الضمور العام لانهُ لا يقتصر على الاجزاء الرخوة كالعضلات والاحشاء بل يشمل الهيكل العظمي الذي تنقص منهُ المواد المعدنية وينتج من نقصان المادة الكلسية سهولة كسر العظام في الشيوخ الذي يكون داعياً لموتهم في كثير من الاحيان .

وضمور العضلات كثير الوقوع في الشيخوخة بل يكاد يكون عاماً فتخسر كثيراً من حجمها ويصغر نسيجها و يقل الدهن الذي يتخللها او يفقد فتبطئ الحركة وتضعف القوة . وقد دلت قياسات القوة العضلية بقياس الديناموميتر على النقص المتواصل في الشيوخ وهو اظهر في الرجل منهُ في المرأة . واما الاحشاء فينقص حجمها وثقلها نقصاً اقل منهُ في بقية الاعضاء

***

وظواهر الشيخوخة في ذوات الشعر كظواهرها في الانسان وقد ورد في وصف شيخوخة الفيل ان منظرهُ اجمالياً زريٌّ وراسهُ هزيل يظهر كأن الجلد لا يكسوهُ وتظهر ثقوب غائرة فوق عينيهِ وعلى خديهِ ويتخلخل جلد جبهتهِ وتبدو عليهِ تآليل وتكمد عيناهُ ويسيل منهما مادة غير طبيعي وتتهدل اذناهُ وتشرم حواشيها السفلى ويخشن جلد خرطومهِ و يقسو وتبدو عليهِ التآليل ويخسر كثيراً من ليونتهِ ويتشقق جلد بدنهِ و يتقلص وتدق ساقاهُ وتختفي كتلة العضل الغليظة التي كانت تكسوهما ويهزل دائر قائمتيهِ وخصوصاً ما فوق الخافقين و يقسو ذنبهُ و يصير صوفياً و يتعرى طرفهُ من الشعر على الغالب

وتظهر مثل هذه الظواهر في الخيل التي تهرم قبل الفيل بمدة طويلة فيظهر جلد الحصان الهرم عارياً من الشعر في بعض اقسامهِ ومغطى بشعر طويل في اقسام اخرى و ينكس رأسهُ بعد ان كان في الشباب شامخاً عالياً دلالة على الضمور والضعف العامين

اما الطيور فقد لا تبدو عليها علامات الشيخوخة وان عمرت وكثير منها يبقى منظرهُ طبيعياً وقد شاهدنا بطة عند الدكتور جان شاركو بلغت خمساً وعشرين سنة بدون ان تظهر عليها ظواهر الكبر ولكن اذا بلغت الشيخوخة مداها في الطير ظهرت بضعفهِ وانتشار ريشهِ وورم مفاصلهِ

واما الزحافات فتختلف اختلافاً كبيراً في شيخوختها عن بقية ذوات الفقرات وما امكن مراقبتهُ منها لم يختلف منظرهُ عن منظر الافراد اليافعة التي من نوعهِ وعندنا غيلم (ذكر السلحفاة) لا يقل عمرهُ عن ٨٦ سنة لا دليل عليهِ من دلائل الشيخوخة وهو يعيش كما يعيش كل فرد بالغ من نوعهِ وقد اصابتهُ من اكثر من ٣٧ سنة ضربة معول على درقتهِ فحدثتهُ حدثاً كبيراً لا يزال ظاهراً وواضحاً الى الآن وفي الثلاث السنين الاخيرة خالط في حديقة مونتو بان اثنين فباضتا بيضاً نافقاً

وفي جزيرة موريس سلحفاة عمرها ١٥٠ سنة وليس عليها ما يدل على العمر الطويل يستدل من هذه الامثلة على ان بين ذوات الفقرات انواعاً تقوى على التعمير اكثر كثيراً من الانسان وان الشيخوخة المبكرة في الانسان وهي من اكبر مصائبهِ ليست متأصلة في الحيوانات العليا . وقد سبق لنا البحث في هذا الموضوع في كتابنا « دروس في الطبيعة الانسانية » واظهرنا الفرق بين حوُول الشيخوخة في الانسان وبين ظواهر الهرم في التقاعيات التي شرحها موباس وقال انها بعد ان تظهر يعقبها تجدد الشباب . وقد دلت الابحاث الحديثة على ان هذا الفرق هو اكبر مما ذكر لان بعض العلماء ربّى سلسلة من ٧٠ من مواليد التقاعيات بدون ان يظهر عليها العجز اي الخطاط الشيخوخة وهذا كما نرى يبعد كثيراً عن حالة النوع الانساني

وقد حاول هارتويغ وهو اوسع علماء المانيا علماً في الحيوانات الدنيا ان يبرهن ان الحيوانات الصغرى Actinosphaerium تصاب بحوُول قسيرلوجي حقيقي وقال انهُ رأى مزروعات الزيزوبود تفنى بموت كل افرادها رغماً عن غزارة غذائها وعلل ذلك بان بنية الاكتينوسفيريوم تضعف بنفاد القوة الحيوية على اننا نخالفهُ في ذلك ونرى ان سبب موتها تفشي مرض معدٍ يفتك غالباً بمواليد الحيوانات والنباتات الصغرى . وقد فات هارتويغ ان ينظر في بحثهِ الى الحبيبات الكثيرة في الاكتينوسفيريوم الذي هو موضوع بحثهِ ويستحيل بكل الاحوال التسليم بما اتخذهُ برهاناً ثابتاً على حوُول الشيخوخة في الحيوانات الدنيا

يستنتج من كل ما سبق بيانهُ ان الانسان يستطيع في الشيخوخة ان يحفظ قوتهُ العقلية ولو خسر خسارة كبيرة من قوتهِ المادية وان ذوات الفقرات تستطيع ان تقوى على التعمير مدة اطول كثيراً مما يستطيعهُ الانسان في احوال حياتهِ الحالية

وفي المقالة التالية يتسع المجال لبحث في هذا الموضوع الدكتور

امين ابو خاطر

بعض الامثال والاقوال

قديمًا وحديثًا

(٢)

عطفًا على ما ورد تحت البند العاشر من المقالة السابقة أقول اني عثرت على رواية اخرى للبيت الذي نسبهُ الاصمعي الى كعب بن زهير وهو

اقول شبيهات بما قال عالمٌ بهنَّ ومن اشبهْ اباهُ فما ظلَمْ

والرواية التي عثرت عليها هي

واني الذي لم يخزني في حياتهِ قديمًا ومن يشبهْ اباهُ فما ظلَمْ

ففي وضع « يشبه » مكان « اشبه » الساكنة الآخر تخلُّص من التعليل السخيف الذي عللوا بهِ تسكين الهاء وهو قولهم « جزم الهاء من اشبه لكثرة الحركات » ولا حركات كما فلناه. وقد نقل اليَّ عن لسان بعض العارفين ان البيت

بأبٍ اقتدى عديٌّ في الكرمْ ومن يشابه أبهُ فما ظلمْ

هو لرؤبة ابن العجاج الراجز المشهور فان صحَّ ذلك فالمثل سابق لهذا البيت لان رؤبة من رجال القرن الثاني للهجرة والمثل وارد في نظم كعب بن زهير وهو متقدم على رؤبة كما هو معروف

(١٤) مكرهٌ اخوك لا بطلٌ . ورد هذا المثل في كتاب الشاعر برفع اخوك على انها مبتدأ مؤخرٌ . والمتداول على السن كتاب العصر انها اخاك لا اخوك . وجاء في كتاب البيان والتبيين للجاحظ قولهُ في الكلام على البلاغة « فمن زعم ان البلاغة ان يكون السامع يفهم معنى القائل جعل الفصاحة والكزة والخطأ والصواب والاغراق والابانة والمحون والمعرب كلهُ سواء وكلهُ بيانًا . واصحاب هذه اللغة وهذا البيان لا يفقهون قول القائل منَّا « مكرهٌ اخاك لا بطلٌ » و « اذا عزَّ اخاك فهُنْ » . ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم « ذهبت الى ابو زيد » و « رأيت ابي عمرو » ومتى وجد النحويون اعرابيًّا يفهم هذا واشباههُ بهرجوهُ (اي شهروا بهِ) ولم يسمعوا منهُ لان ذلك يدلُّ على طول اقامتهِ في الدار التي تفسد اللغة وتنقص البيان »

فكلام الجاحظ يدلُّ على ان هذا المثل كان معروفاً في عصره وهو سابق لعصر المفضل بقليل وانهم كانوا يلفظون اخاك بالالف وينكرونهُ لانهُ خطأ كما كانوا يقولون « ذهبت الى ابو زيد » وكما نقولهُ نحن الآن ويفهم من قولهِ « ومتى وجد النحويون » الخ ان الاعراب لم يكونوا يفهمون الكلام الملحون وهو يؤيد ما نقلهُ عنهم الاصمعي وغيرهُ ممن عاش دهراً طويلاً بينهم . ومدلول هذا القول ان الإعراب كان عند الأعراب جزءاً من الكلام لا يتصور فصلهُ عنهُ فاذا وقع اللحن في الإعراب لم يدركوا المعنى مع دلالة القرينة عليهِ اما في عصرنا فلا يجهل معنى قول القائل متى « رأيت ابي عمرو » الاَّ جاهل او متجاهل

على ان عدم فهم الاعرابي للكلام الملحون ربما لم يكن غريباً لانهُ اعتاد سماع الكلام معرباً منذ ولادتهِ والنطق بهِ منذ اوان النطق . وانما الغريب تجاهل النحويين الى حدّ انهم يشهرون باعرابي يفهم كلاماً ملحوناً . فهم ملكيون اكثر من الملك كما يقول المثل الفرنسوي . وكنا نظن هذا التجاهل خلقاً فيهم حديثاً فاذا هو خلق قديم

(١٥) اذا عزّ اخوك فهن . كذا ورد في الناخر وفي مواضع اخرى . ويرى من النبذة المتقدمة ان الجاحظ رواهُ بلفظ اخاك مكان اخوك . وربما كان بين العرب قوم ينكرون الاسماء الخمسة واعرابها بالحروف ويلتزمون الالف فيها على كل حال مهما اختلفت اوجه الكلام والاعراب . ولكني لم اجد نصّاً صريحاً على وجود هذه اللغة . ولو وجدت لذكرت كما ذكرت اللغة التي تعرب بها الاسماء الخمسة بالحركات

(١٦) تسمعُ بالمعيدي خير من ان تراهُ . وفي رواية اخرى تسمعَ على نصب الفعل المضارع بان المقدرة فيكون التأويل مياعك بالمعيدي ..... وفي رواية غيرها « تسمعُ بالمعيدي لا ان تراهُ » . وليس لهذا المثل ما يقابلهُ بلفظهِ بين اقوال العامة بل ان عندهم اقوالاً كثيرة بمعناهُ يخرج ايرادها عن غرض هذه المقالة منها قولهم « الشوف مش مثل السمع »

(١٧) الدالُّ على الخير كفاعلهِ . قالهُ سعد بن خشرم لرجل اسود اعمى في وقتين مختلفين بينهما فترة قصيرة فعدَّ قولها من توارد الخواطر . ولهُ حكاية طويلة لا محل لذكرها وفي اقوال بعض العامة نادي الخير كفاعلهِ

(١٨) انصر اخاك ظالماً او مظلوماً . أذكر هذا المثل هنا مع خروجهِ عن قصد هذه المقالة للردّ على قول بعض من قال ان معناهُ وجوب مساعدة المسلم لاخيهِ المسلم سواء كان محقّاً او مبطلاً . وليس هذا معناهُ كما يرى مما يلي :

قال الفاخر ان اول من قال المثل جندب بن العنبر التميمي جلس وسعد بن ضباة وهو تميمي ايضاً يشربان فتعاضبا في القول ورمى جندب سعداً بالجبن وتفرقا على ذلك . وكان سعد قد قال لجندب لتأسرنك ظعينة (اي امرأة راكبة بعير) فلا يفيئك غيري فكان كذلك واستغاث جندب بسعد ولم يكن يعرفهُ فقال سعد ان الجبان لا يفيئ فقال جندب

يا ايها المرء الكريم المشكوم انصر اخاك ظالماً او مظلوم

فاقبل اليهِ فاطلقهُ . قال صاحب الفاخر « ويروى عن النبيّ (صلعم) انهُ قال انصر اخاك ظالماً او مظلوماً . قيل يا رسول الله هذا ننصرهُ مظلوماً فكيف ننصرهُ ظالماً . فقال تردّهُ عن الظلم » . وفي هذا قطع لالسنة القائلين ان نصرة الظالم هي معاونتهُ على ظلمهِ وجندب وسعد المذكوران آنفاً من اهل اواخر الجاهلية

(١٩) إياك اعني واسمعي يا جارهُ . اول من قال ذلك سهل الفزاري فانهُ نزل في بعض اسفارهِ على حارثة بن لام وكان غائباً فأكرمتهُ اختهُ وكانت اجمل اهل دهرها واكملهم وكانت عقيلة قومها وسيدة نسائها فوقع في نفسهِ منها شيءٌ فانشد ذات يوم على مسمع منها

يا أُخت خير البدو والحضارهْ كيف ترين في فتى فزارهْ
اصبح يهوى حرةً معطارهْ إياك اعني واسمعي يا جارهْ

فلما سمعت قولهُ قالت ما هذا بقول ذي عقل اريب ولا رأي مصيب ولا الف نجيب فاقم ما اقمت مكرماً ثم ارتحل اذا شئت مسلماً . فاستحيا وقال ما اردت منكراً واسوّتاهُ قالت صدقت وكأنها استحيت من تسرّعها الى تهمتهِ فارتحل . وفيها هو عائد عاج بالمنزل وكان فيهِ اخوها فاطلعت اليهِ نفسها وكان جميلاً فارسلت اليهِ ان اخطبني ان كانت لك فيّ يوماً من الدهر حاجة فاني سريعة الى ذلك فخطبها وتزوجها وسار بها الى قومهِ

وفي الشام يقولون « بقول لك يا كنه تسمعي يا جاره » وهو لسان حال الحماة تقول اكلمك يا كنتي تسمعي يا جارتي اي ان الحماة — وعداوتها للكنة وعداوة الكنة لها قديمتان مشهورتان — تخاطب كنتها بصوت عالٍ ارادة التشهير بها اذ لو كانت تريد نصحها لكلمتها بصوت منخفض . وعندي ان المثل يكون اوجه لو كان « بقول لك يا جاره تسمعي يا كنه » . فان الحماة تكون عادة اضعف مراساً من كنتها فلا تستطيع مقابلة عداءها — وما يصحبهُ من الشتم والصخب والنكاية — بمثلهِ فتلجأ الى جارتها وترفع عقيرتها امامها بقوارص الكلام والفاظ السباب توجهها اليها ظاهراً وهي انما تعني كنتها باطناً لعلها بذلك تتخلّص من نقمتها

(٢١) اقتلوني ومالكاً . اول من قال ذلك عبد الله بن الزبير . وذلك انهُ عانق الاشتر النخعي فسقطا الى الارض واسم الاشتر مالك فنادى عبد الله بن الزبير اقتلوني ومالكاً فضرب بهِ المثل لكلّ من اراد بصاحبهِ مكروهاً وان نالهُ منهُ ضرر . ومن ذلك البيت المشهور

اقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكا معي

فالعجز تأكيد للصدر من غير زيادة عليهِ في المعنى

وفي الشام يقولون بهذا المعنى « عليّ وعلى اعدائك يارب » وهي عبارة ينسبونها الى شمشون والحقيقة انها تلخّص حكاية موتهِ مع الفلسطينيين اعدائهِ . فانهم بعد ان اعروا دليلة خليلتهُ بحلق شعرهِ وكان سرّ قوتهِ فقأوا عينيهِ وجاؤوا بهِ الى هيكل اوثانهم ليلعب امامهم واوقفوهُ بين أعمدة الهيكل . وكان شَعْرهُ قد نبت وعادت اليهِ قوتهُ فتبض على عمودي الهيكل المتوسطين واستند اليهما الواحد بيمينهِ والآخر بيسارهِ ودعا الربّ فقال « يا سيدي الرب اذكرني وشددني هذه المرة فانتقم نقمة واحدة عن عينيّ من الفلسطينيين » . ثم انحنى قائلاً « لتمت نفسي مع الفلسطينيين » فكان الذين اماتهم في موتهِ اكثر من الذين اماتهم في حياتهِ ومات هو معهم

(٢٠) لا تعلّم اليتيم البكا . اول من قالهُ زهير الكلبيّ فان ملقمة بن كنانة اغار على بطن من قبيلتهِ فقتل وأسر منهم وافلت من الفلّ فاقبلت الجواري على زهير يسألنهُ عن آبائهنّ فبشّر منهنّ بنجاتهم ونعى على واحدة اباها فبكت فقال رجل ما اسوأ بكاها فقال زهير لا تعلّم اليتيم البكا

وفي الشام يقولون « يتعلّم الارامل النواح ؟ » استفهاماً انكارياً . يريدون ان الارامل يُجدن النواح فلا حاجة بهنّ الى من يعلمهنّ اياهُ

(٢٢) يا حبذا الامارة ولو على الحجارة . قال ابو عبيدة اول ما قيل ذلك للحجّاج الثقفي وكان زياد ولاّهُ بناء دار الامارة بالبصرة والمسجد الجامع بها فظهرت لهُ اموال وحال لم تكن فقيل المثل المتقدم . وقال مصعب الزبيري انما قال ذلك عبدالله بن خالد بن اسيد وقال لابنهِ ابنِ لي داراً بمكة واتخذ فيها منزلاً لنفسك ففعل فدخل عبدالله الدار فاذا فيها منزل قد اجادهُ وحسنهُ بالحجارة المنقوشة فقال لمن هذا المنزل فقال هذا المنزل الذي اعطيتني فقال عبدالله المثل

ويقال في الشام « اماره عالفارغ » ويقابلهُ بمعناهُ قولهم « يحب الرفعه ولو على الخازوق »

(٢٣) بكى الصبيُّ حتى فحَم . قال ابن الاعرابي معناهُ حتى انقطع بكاؤهُ من كثرة ما بكى . ويقال معنى فحم اكمَدَّ واسودَّ وجههُ من كثرة البكاء

وفي الشام يقولون بكى حتى فحِم بتشديد الحاء وفحِمت من العطش (او تفحّمت في بعض البلاد بابدال الفاء ثاء) وفي القاموس فحَم شرب في فحمة الليل والفحمة اول الليل او اشدُّهُ سواداً خاصٌّ بالصيف وفحمةُ سوّدهُ بالفحم

(٢٤) خالف تُذكر . اول من قالهُ الحطيئة وكان ورد الكوفة فلقي رجلاً فقال لهُ دلني على فتى المصْر نائلاً (اي اكثركم عطاء) فقال عليك بعُتيبة العجْلي فمضى نحو دارهِ فصادفهُ فقال لهُ انت عُتيبة قال لا قال افأنت عتّاب . قال لا قال اسمك لشبيهٌ بذلك . قال انا عليبة فمن انت . قال انا جرول . قال ومن جرول قال ابو مُليكة قال والله ما ازددتُ الاَّ جهلاً . قال انا الحطيئة . قال مرحباً بك . قال الحطيئة فحدثني عن اشعر الناس من هو . قال انت . قال الحطيئة خالف تذكر . اشعر مني الذي يقول « ومن يجعل المعروف من دون عرضهِ » (الخ يريد زهيراً) قال صدقت فما حاجتك . فطلب الحطيئة ثيابهُ وكانت من خزّ وميرة اهلهِ وكسوتهم فاعطاهُ جميع ما طلب

وفي الشام يقولون « خالف تعرَف »

(٢٥) هو آية . الآية العلامة التي تدلُّ على الشيء فيراد انهُ علامةٌ فيما يوصف بهِ يستدلُّ بها عليهِ . والآية ايضاً المثل فيراد بهِ انهُ يتمثل بهِ في الشيء الذي ينسب اليهِ من خير او شرّ

ويقول بعض عامة الشاميين في خطاب المتعجب منهُ « أمّا انك آية » يريدون انك انك غريب الاطوار نادر الاخلاق كالآية اي الاعجوبة

(٢٦) هذا الشيء فتنة من الفتن . الفتنة في هذا الموضع النعمة واللذة . ومنهُ الآية « انما اموالكم واولادكم فتنة » . ويكون ايضاً معنى الفتنة المحنة والبلوى اي تمتحنون بذلك ليعلم شكركم

وتستعمل الفتنة في الشام لوصف الجمال البارع فيقال هذه الفتاة فتنة اي تفتن الالباب بجمالها . ولعل هذا هو مراد الشاعر الحديث من قولهِ

خلقتَ الجمالَ لنا فتنة وقلت لنا يا عبادي اقنون
وانت جميل تحب الجمال فكيف عبادك لا يعشقون

(٢٧) ويلٌ للشجي من الخلي · اول من قال ذلك على ما ذكر بعضهم اكثم بن صيفي التميمي وكان من حديث ذلك انهُ لما ظهر النبي بمكة ودعا الى الاسلام بعث اكثم ابنهُ جُبَيْشاً فاتاهُ يخبره فجمع بني تميم وخطب فيهم خطبة وجيزة كلها نصح وارشاد ثم قال ان ابني شافه هذا الرجل (يريد النبي) مشافهة واتاني يخبره وكتابهِ يأمرُ فيهِ بالمعروف وينهى عن المنكر الى آخر خطبة طويلة دعاهم فيها الى الاسلام طائعين قبل ان يأتوا كارهين · فقال احدهم قد حَرَّف شيخكم فقال اكثم المثل · وقال غيرهُ غير ذلك

وفي الشام يقال « ويلٌ للحزانى من النائحات او من المتفرجات » اشارة الى النادبات اللواتي يُستأجرن للبكاء او الى اللواتي يشهدن المآتم للفرجة لا للمؤاساة · ومن هذا قول الشاعر « وليس كمن بكى من قد تباكى »

(٢٨) ليس الخبر كالمعاينة · روي ان النبي اول من قال ذلك

ويقال في مصر والشام « وليس الخبر كالعيان » واكثر ما يرى هذا القول هنا في الاعلانات التي توزع على القهوات كما هو معروف

(٢٩) صمت الفاً ونطق خلقاً · معنى قولهم صمت الفاً اي صمت في موضع الف كلمة كان ينبغي ان يتكلم بها ويقال الف يوم · والخلق الردي من القول

والمثل المشهور بين العامة في هذا الزمان « سكت شهراً ونطق كفراً »

(٣٠) كل شاة برجلها معلقة · اي كلُّ احد مأخوذ بجريرتهِ لا بجريرة غيرهِ كما ان الشاة لا تعلق برجل غيرها · يقال ان اول من قالهُ وكيع بن زياد وكان ولي امر البيت بعد جُرْهم فلما حضرتهُ الوفاة جمع إياداً فقال لهم اسمعوا وصيتي الكلام كلمتان والامر بعد البيان من رشد فاتبعوهُ ومن غوى فارفضوهُ وكلُّ شاة معلقة برجلها فارسلها مثلاً

ويقول عامة الشام « كل عنزة معلقة بكرعوبها » اي عرقوبها وهو بمعنى ما قبلهُ

(٣١) ما عدا مما بدا · اي ما عداك عني مما بدا لك مني ومعنى عداك صرفك وبدا ظهر · واول من قال ذلك علي بن ابي طالب لما قدم البصرة قال لعبد الله بن العباس صِرْ الى الزبير ولا تأتِ طلحة فقل يقرأ عليك السلام ويقول اعرفتني بالحجاز وانكرتني بالعراق ما عدا مما بدا · قل ابلغهُ قال ابلغهُ سلامي وقل لهُ عهد خليفة ودمُ خليفة واجتماع

ثلثة وانفراد واحد وام مبرورة ومشاورة العشيرة . هذه هي رواية المفضل ورواية الجاحظ تختلف بعض الشيء عنها وهاكها :

« عبدالله بن مصعب قال ارسل عليّ بن ابي طالب عبد الله بن عباس لما قدم البصرة فقال ائت الزبير ولا تأت طلحة فان الزبير ألين وانك تجد طلحة كالثور عاقصاً قرنهُ يركب الصعوبة و يقول هي امهل . فاقرأ عليهِ السلام وقل لهُ يقول لك ابن خالك عرفتني بالحجاز وانكرتني بالعراق فما عدا مما بدالك . قال فاتيت الزبير فقال مرحباً يا ابن لبابة زائراً جئت ام سفيراً قلت كل ذلك وابلغتهُ ما قال عليّ . فقال الزبير ابلغهُ السلام وقل بيننا و بينك عهد خليفة ودم خليفة واجتماع ثلاثة وانفراد واحد وام مبرورة ومشاورة العشيرة ونشر المصاحف فحلّ ما احلّت وحرم ما حرمت فلما كان من الغد حرّش بين الناس غوغاؤهم فقال الزبير ما كنت ارى ان مثل ما جئنا لهُ يكون فيهِ قتال »

وفي الشام يقولون « شوعدا ما بدا » بالمعنى نفسهِ اي عند ارادة المتاب . ولم اسمع هذا المثل الاَّ في بلاد الشيعة (المتاولة) إما سنهم واما من النصارى النازلين بين ظهرانيهم . والذي يعلم تعلق الشيعة بعليّ وحرصهم على كلّ ما يعزى اليهِ لا يتعجب من تداول السنتهم لقول من اقوالهِ قد لا تجد لهُ ذكراً الاَّ في كتاب او كتابين

(٣٢) ما اشبه الليلة بالبارحة . يقال ذلك لكلّ اثنين اتفقا على خلق . واول من قالهُ طرفة بن العبد يذمّ اخاهُ :

كلّ خليلٍ كنت خالتهُ لا يتركُ الله لهُ واضحه
كلّهمُ اروغُ من ثعلبٍ ما اشبه الليلة بالبارحه

وفي الشام يقولون « قالت العنزه وهي سارحه هالليله متل متل البارحة » ويستعملونهُ في معنى يختلف عن معنى المثل المذكور فيضربونهُ حيث يريدون مقابلة حاضر مخوس بماضٍ مسعود

(٣٣) قولهم في الدعاء على الانسان باليتها كانت القاضية اي الموتة التي لا حياة معها

وفي الشام يدعون مثل هذا الدعاء نجيب شاهين

المزاح واختلاف مقاييسه

الصور المزلية

المزاح خلة عامة بجميع طوائف الناس وان اختلفت درجاتهم فيها فعندك المكثر والمقل والمتطرف والمعتدل شأنهم في سائر المزايا والطباع . والملحة او النكتة او الفكاهة قد تكون عامة بمعنى ان كل امة تفهمها وتتذوقها وقد تكون خاصة بفهمها فريق دون فريق . فبينما ترى زيداً يضحك حتى يسيل لعابهُ او يستلقي على ظهرهِ لنكتة تطرق أذنيهِ ترى عمراً جامداً بازائها لا يبدي ولا يعيد كأنها ليست من النكات في شيء

وقد اشتهر الفرنسويون والارلنديون في اوربا بميلهم الى الهزل واحكامهم اياهُ حتى ليعترف الانكليزي لاخيهِ الارلندي بالنكتة ويضحك لها ولو كانت عليهِ ولا ينكر اتيام الارلندي اياهُ بالبلادة وتوليتهِ وجههُ شطر الجانب المظلم من هذه الحياة الدنيا دون الجانب المنير كما يقولون . على ان الانكليزي نفسهُ على جمودهِ اذا خرج من الجدّ الى الهزل استملك مزاحاً يضحك الثكالى والذين يعرفونهُ حق معرفة و يقرأون كتبهُ وصحفهُ المزلية يشهدون لهُ بذلك . وقد اشتهر المصري في الشرق بميلهِ الى المزاح واجادتهِ فيهِ واتقانهِ لهُ وسرعة بداهتهِ حتى ضرب بهِ المثل

وما يقال عن الملح الكلامية يقال عن الصور المزلية . ولكن كثرة استرسال المرء في الجون قد يفقدهُ قوة التمييز بين جيّد النكات ورديئها سمينها وهزيلها حتى لقد نقل عن بعض اهل الجون قولهم انهم لا يعرفون هل نكتتهم نكتة حقيقية ام لا حتى يروا اثرها في سامعيهم . وعلى ذلك قال شكسبير « ان نجاح النكتة يتوقف على اذن الذي يسمعها » . وقال احد المصورين المزليين مرة بلغ من امري واختلافي انا واصحابي على الصور المزلية التي كنت اصورها اني كنت اقهقه حيث لا يتبسمون وكانوا يقهقهون حيث لا أتبسم

خطر لاحدى المجلات الانكليزية الكبرى منذ بضع سنوات ان تستفتي الصحف الاوربية المزلية في افكه الصور التي نشرت في صحفهم فاجابتها كلٌّ منها بما عنّ لها . مثال ذلك ان مدير جريدة بنش المزلية المشهورة اختار صورتين اولاهما صورة خاصة اي ان معناها غير واضح لكل احد وكذلك معنى ما كتب تحتها فلا بدّ من تفسيرهِ ولعل لا تجد فيهِ مزاحاً بعد التفسير وان يكن غلادستون على بعدهِ عن المزح قد ضحك لهذه الصورة مقهقهاً

على مناقيل . وثانيتهما صورة عامة يفهمها كل احد وهي تمثل رجلاً يصيد السمك بصنارته وقد اطلَّ عليهِ من خلف جدار بيمارستان مجنونٌ منفرش الشعر يشير باحدى اصابعهِ ان ينضمَّ اليهِ وتحت الصورة هذه الكتابة :

المجنون — ماذا انت صانع هنا

الصياد — اصيد

المجنون — هل امسكت شيئاً

الصياد — لا

المجنون — كم مضى عليك من الوقت هنا

الصياد — ست ساعات

المجنون — تفضَّل اذاً لعندنا (مشيراً بسبَّابتهِ)

ومما هو جدير بالذكر ان كل صور بنتش هزلية في الظاهر سياسية في الباطن اي انها تشير الى مسائل سياسية خفية يدركها المرادون منها وهذا شأن الصحف الهزلية الاخرى في الاكثر . فان لم يكن غرضها سياسيًّا فهو اجتماعي

ومن الصحف الانكليزية الهزلية جريدة « جودي » اجاب مديرها عن الاستفتاء المذكور آنفاً بارسال الصورة التي يحسبها انكه ما نشر في جريدتهِ وهي تمثل فاعلاً ارلنديًّا استؤجر لتخريب بيت وقد وقف على رأس حائط متداعٍ الى السقوط وجعل يُعمل معولهُ فيهِ فبات على شفا التدهور وكأنهُ لا يدري . واذا بصوت من تحت يناديهِ « الى الطعام » فاجاب بلهجتهِ الارلندية المشهورة « سأكون عندكم في تكتين » (التكة صوت الساعة او ضربة المعول) وفي هذا تورية ظاهرة وان لم يقصدها . فانهُ يريد انهُ سينزل اليهم حالاً بطريق الفعلة وهو المعنى القريب ولكن حرج موقفهِ واشرافهُ على الخطر يشيران الى المعنى البعيد وهو نزولهُ اليهم ساقطاً من اعلى الجدار لا بطريق الفعلة المطروق

واجاب مدير الجريدة الفرنسوية المسماة « لاڤي پاريزيان » بارسال الصورة التي يفضلها على غيرها فقال صاحب المجلة الانكليزية في وصفها انها ليست في حاجة الى ترجمان يترجم معناها . وهي تمثل اله الحب عند الرومان بصورة غلام عارٍ ذي جناحين اعمى مسلَّح بقوس وجعبة ملئت سهاماً وقد خرج للسياحة فاستقبلهُ ترجمان وقال لهُ وهو رافع قبعتهُ « هل انت في حاجة الى من يترجم لك » فاجابهُ الاله « كلاَّ فان الناس يفهمونني حيثما اتوجه » . وفي هذا اشارة لطيفة الى كون الحب ملكاً مشاعاً ليس خاصًّا بقوم دون قوم

واجاب مدير الجريدة الفرنسوية « لزير » الشهيرة بارسال الصورة التي يعدّها انكه ما نشر في جريدته فقال صاحب المجلة الانكليزية بصفها :

« كثيراً ما تنشر جريدة « لزير » صوراً هزلية قد لا يدرك الانكليزي مغزاها فلا تضحكه كما هو المراد منها . ولكن الصورة التي ارسلت الينا مفعمة بالمزاح الخفيف المفهوم فهي تمثل شيخاً بدينا ماهراً في السباحة وحوله نفر من اصحابه يريدان يبهرهم بمهارته ولو كان الماء قليلاً قريب الغور »

اما الصورة فذات ثلاثة اشكال : ففي الشكل الاول ترى صاحبنا وقد وقف على ضفة بركة صغيرة قليلة الماء يتحفز للوثوب اليه ووقف اصحابه بازائه من رجال ونساء واولاد يشاهدون عجائبه وقد كتب تحت الشكل الاول قول ولد صغير له : انت يا سيدي اكبر من البركة فكيف تغوص فيها »

والشكل الثاني يمثله وقد القى نفسه فيها فطار رشاش الماء منها وبلّل ملابس اصحابه المحيطين به واعمى ابصارهم . وتحت الشكل قول السابح : ألا ترون كيف دخلتها »

والشكل الثالث يمثله جالساً في قعر البركة مادًّا رجليه واحد الواقفين يقول له جواباً على سؤاله في الشكل الثاني : لم تدخل البركة ولكن البركة خرجت يا مغفّل »

ومن اعظم الصحف الهزلية في اوربا على ما تقول المجلة الانكليزية صحيفة المانية تصدر في مونخ . هذه ارسلت الى المجلة الانكليزية صورتها الهزلية الاولى في عرفها وهي صورة ذات سبعة اشكال تمثل اسداً من « الندرمة » في قصعة . ففي الشكل الاول ترى ملك الوحوش واقفاً بابهته وجلاله ينظر الى ما امامه بعينين وقّادتين . وفي الثاني تراه وقد انغمس صدره وهبط بطنه لانخساف ظهره . وفي الثالث تراه مقعياً وقد ذاب الجزء الخلفي منه وجحظت عيناه ولاحت عليه علامات المستضعف المستغيث وهو الذي اذا الم فلا مغيث . وفي الرابع ذابت رجلاه وانفصل بدنه عن يديه فسقطا وهما لا تزالان والنتين كانهما تحرسانه من غيّر الذوبان وطوارق الحدثان . وفي الخامس سقطت يداه اللتان حارستين له وزاد هو هبوطاً في القصعة وغوصاً في الماء ولكن انفه ما زال في السماء . وفي السادس تراه منفكك الاعضاء وهي ركام بعضها على بعض وانفه مستقرّ فوقها وشعر شاربيه مستشزر الى العلى . وفي السابع تراه وقد ذاب كله وبات سائلاً يتدفق من جوانب الاناء

ومن المضحك ما ذهبت اليه المجلة جريدة اسمها « استج بلاتو » ارسلت عدة صور احسنها ثلاث فالاولى تمثل مصارعين تناضل فيما اثنان فغلب احدهما الآخر فحمل المغلوب لذلك ورام استعادة شهرته السابقة فاستلّ فيلاً بخرطومه ثم قذف به الى الهواء فبات الفيل ورجلاه الى فوق وخرطومه الى تحت وهو ثابت في الهواء مستقرٌّ على خرطومه وخرطومهُ في يد المصارع الجبار قالت المجلة الانكليزية في التعليق على ذلك « ولا تدري ايهما ادعى الى العجب الرجل الذي رفع الفيل بخرطومه وثبتهُ في الهواء ام الفيل الذي بلغ من لطفه وأدبه ان مكّن المصارع من خرطومه لمثل هذه الحركة الغريبة »

والثانية تمثل شارلوك هومز البوليس الانكليزي السري في مظهر من ادعى المظاهر الى الضحك كما قالت المجلة الانكليزية . فانك تراهُ متكئاً شاخصاً بعينيه الى الافق يعتصر قريحتهُ ويستكدّ فكرهُ املاً في الاهتداء الى الجاني من آثار الجريمة التي امامهُ وهي برنيطة وحذاء ويد مبتورة . اما هو فقد صُوِّر يساقين دقيقتين تنتهيان الى حذاءين ضخمين ووجه طويل وعينين جاحظتين يتدلى من « جيبه » متر كالامتار التي يستعملها النجارون

والثالثة صورة عضو من اعضاء مجلس الشيوخ الالماني جلس حول مائدة الطعام هو وامرأتهُ وطفلان لهُ وقد لبس ملابس النوم وامسك بيديه جريدة الاخبار البرلمانية يقرأها ويفند آراء الاعضاء زملائه لعائلته وامرأتهُ تشرب الشاي وطفلاهُ يلعبان بالملاعق وكلبهُ نائم الى جانبه

ومن الطف الصور واعظمها مغزى صورة ارسلتها جريدة « بك » الاميركية وهي تمثل صياداً واقفاً هو وصديق لهُ في غرفة صيده وهو يشير بيده الى صور معلقة في الغرفة وهي صور الحيوانات التي صادها في زمانه وتحت الصورة هذه العبارة « نعم اني اصطدتها كلها بيدقيتي » اما هذه الحيوانات فكلها رجال كتب تحت احدهم « ظبي غزالاً » وتحت آخر « ظبي تيساً » وتحت غيره « ظبي ثوراً بريًّا » وتحت اثنين في صورة واحدة « قتلا بطلقة واحدة — سنة كذا وكذا » وليس بين هؤلاء الرجال الذين حُرِّم صيدهم الا حيوان واحد حلّ صيده وهو غزال كتب تحتهُ « قتل خطأً » !! . ولا ريب ان مغزى الصورة كبير فان الجريدة ارادت ان تبين للناس ما بات عليه الصيد في اميركا من الفوضى لعدم العناية بسنّ القوانين اللازمة لهُ فصوّرت هذه الصورة فكانت وهي الصامتة افصح من كل بيان واذلق من كل لسان

المواد الحيوية

المواد الحيوية (الڤيتامين Vitamins) اسم جديد وضعهُ العالم فنك لمواد كيماوية قليلة المقدار جدًّا تكون في الاطعمة المختلفة فتجعلها مفيدة لآكلها واذا زالت من الاطعمة قلَّت فائدتها. وقد لخص الاستاذ كارل ڤوغتلين ما عُرف حتى الآن من امر هذه المواد بمقالة نشرتها مجلة العلم الشهرية فاقتطفنا منها ما يأتي قال

لقد عُرف منذ عهد قديم ان مرض الاسكربوط يصيب الانسان والحيوان اذا لم يكن في طعامهما خُضَر ولحوم طرية وان من يصيبهُ هذا المرض يشق منهُ حالاً اذا شرب اللبن الذي لم يغلَ او اكل الخضر الطرية ولاسيما اذا اكل الليمون الحامض. ولذلك فني اللبن والخضر الطرية والليمون الحامض مواد ضرورية لمنع مرض الاسكربوط. فان كان الطعام الذي فيهِ ما يكفي من اللحم والدهن والمواد الهيدروكربونية يجلب مرض الاسكربوط والخضر الطرية تزيلهُ فيها مادة لازمة للصحة ولو لم تكن من مواد الطعام المعروفة

ويحدث احيانًا مرض عصبي اسمهُ بري بري يكثر في البلدان الشرقية كاليابان والفيليبين من قلة اكل الخضر واللحم الطري. ويصيب هذا المرض ايضًا الذين يقتصرون على اكل الرز المبيض والدقيق الابيض تسعين يومًا او نحوها ولكن لو اكلوا رزًّا غير مبيض وخبزًا اسمر لما اصابهم هذا المرض. وعليهِ فني قشر الرز الذي يزول بالتبييض وقشر القمح التي ينزع كلهُ تقريبًا في اسلوب الطحن الجديد موادُّ لو اضيفت الى الطعام لامتنع تولُّد هذا المرض في آكلهِ. وقد ثبت بالامتحان ان مرض الاسكربوط ومرض البري بري لا يتولدان من قلة الطعام العادي ولا من قلة مواد الغذاء فيهِ بل من نقص مواد اخرى لم تعرف قبلاً وهي التي أُطلق عليها فنك اسم الڤيتامين اي المواد الحيوية

والطعام الذي يعتمد عليهِ اكثر الناس خالٍ لهذه المواد على ما يظهر ولذلك يندر حدوث الاسكربوط ومرض البري بري فيهم ولكنها قد تكون قليلة في اطعمة البعض فتؤثر قلتها في صحتهم ولو لم يصابوا بمرض ظاهر

وواضح مما تقدم ان البحث عن هذه المواد لمعرفة حقيقتها مفيد جدًّا. ومعرفة فعلها بالتغذية من اهم ما يبحث فيهِ العلم الآن

واول شيء ثبت او كاد ان المواد التي تمنع مرض البري بري تكون في الاطعمة الطبيعية مركبة وتذوب في الماء او الكحول واذا وجدت في الطعام بمقدار كاف منعت حدوث

مرض البري بري واذا استُخرجت واستعملت علاجاً فلها فعل شديد في شفاء هذا المرض فتشفي السرخ المعروف عندنا بالبري بري الرطب في بضعة ايام . وان الاطعمة الشبيهة بالدهن كثيرة المادة الحيوية ايضاً والجرثومة التي في حبوب الحنطة وهي التي تنمو ويتولد منها النبات كثيرة المادة الحيوية . وان المادة الحيوية يبطل فعلها اذا عرضت لحرارة غليان الماء مدة طويلة . وقد استخلص فنك هذه المادة ووجد فعلها شديداً جداً فان مليغرامات قليلة منها شفت الحمام الذي طُعِّم بهذا المرض في بضع ساعات

اما المادة الحيوية التي تشفي من الاسكربوط فلم تستخلص حتى الآن وكل ما نعلمهُ من خواصها الكيماوية ان الحوامض لا تؤثر فيها ولذلك تبقى في عصير الليمون الحامض سليمة على ما يرجح . واذا اغلي اللبن الى درجة فوق درجة غليان الماء زالت قوتهُ على مقاومة الاسكربوط ولعل اغلاء اللبن للاطفال هو سبب كثرة اصابتهم باسكربوط الاطفال

وقد ظهر بالامتحان ان المادة الحيوية المقاومة لمرض البري بري كثيرة في بعض الاطعمة وقليلة في غيرها وكذلك المادة الحيوية المقاومة لمرض الاسكربوط كما ترى في هذا الجدول وقد رتبت الاطعمة فيهِ حسب قوتها

الاطعمة المقاومة للبري بري	التي لا تقاومهُ	الاطعمة المقاومة للاسكربوط	التي لا تقاومهُ
خميرة البيرا	اللبن المنقع	الخضر الطرية	الخضر المقددة
صفار البيض	اللحم المنقع	الاثمار الطرية	الاثمار المقددة
قلب البقر	الكرنب	اللبن بلا اغلاء	اللبن المنقع
اللحم الطري	اللفت	اللحم النيء	لحم العلب
السمك	الجزر ونحوهُ		الحبوب الجافة
الفول	الدقيق الابيض		دهن الخنزير
اللوبياء	الشا		
الشعير	لحم الخنزير		
القمح			
الذرة			

يتضح من هذا الجدول ان الطعام المزوج من اللبن الذي لم يغلَ والبيض واللحم والخضر الطرية هو اجود الاطعمة لمقاومة مرض البري بري ومرض الاسكربوط وانهُ ليس من

الحكة الاعتماد على الخبز المصنوع من الدقيق الابيض الذي فقد كل خلاياه ومادته الجرثومية ايضاً ولا على الرز المبيض

والكلة بري بري (beri-beri) سنغالية والمرض التهاب في الاعصاب معدٍ خاص ببعض البلدان يكثر حدوثهُ في اليابان والهند وسيلان وهو ميت في الغالب ومن علاماته تشنج الطرفين الاسفلين تشنجاً دورياً وضمود في العضلات والشلل والانيميا والآلام العصبية

والاسكربوط مرض يبتدئ بضعف وغم ورائحة كريهة في النفس وورم لين في اللثة حتى تشبه الاسفنج فتتدلى فوق الاسنان على هيئة اسنَّة المنشار وتظهر بقع زرق على سطح الجلد لاسيما عند اصول الشعر وعلى الاطراف السفلى وقد يحدث نزف ذاتي في الاغشية المخاطية وتقلص بعض العضلات والاوتار وتقرح في سطح الجلد

والمرضان مؤلمان خطران وسببهما نقص المادة الحيوية في الطعام بتعليل الانسان لهُ وباقتصاره على انواع منهُ دون غيرها كما تقدم

الجهد في سبيل الاكتشاف

من غرائب طبائع الانسان حبهُ للاكتشاف فيضرب في مجاهل الارض ويركب متون البحار ويتجشم اشد المشاق لكي يكتشف بلاداً جديدة . ولقد كان هذا دأبهُ من قديم الزمان اما حينئذٍ فكان مدفوعاً بطلب الرزق والتجاع المراعي واما الآن فيندفع اليهِ بالملكة التي تملكت اسلافهُ قروناً كثيرة ولولا ذلك ما عمرت الارض بالسكان ولا انتشر فيها نوع الانسان . ومن هذا القبيل سعي الاوربيين الى اكتشاف القطبين حيث لا امل ان يجدوا باباً للكسب ولا سبيلاً للرزق

وقد اشرنا في مقتطف اكتوبر الماضي الى ان السر ارنست شكلتون الرحالة تمكن من انقاذ رفاقهِ الذين تركهم في جزيرة الفيل فان السفينة التي سافر فيها قاصداً القطب الجنوبي انكسرت هناك فنزل برجالهِ الى هذه الجزيرة ثم ركب قارباً من قوارب السفينة مع خمسة منهم وعاد قاصداً جورجيا الجنوبية عساهُ ان يجد فيها سفينة تأتي لانقاذهم وترك معهم من الزاد الذي انقذوهُ من السفينة ما يكفيهم الى آخر مايو الماضي وهو يحسب انهُ يتمكن من الرجوع اليهم في ذلك الحين على الابعد فلم يتمكن من العود اليهم وانقاذهم الاَّ في اوائل سبتمبر الماضي . وقد قابلهُ مراسل جريدة الديلي كرونكل الانكليزية وقابل ايضاً المستر رِيْلد الذي

كان زعيم البالين على الجزيرة فوصفا لهُ ما لقي اولئك الرجال من المشاق قبلما عاد اليهم السر ارنست فرأيتُ ان نلخص ذلك لما فيهِ من الدلالة على الجهد في سبيل الاكتشاف والصبر وسعة الحيلة في الملمات

والجزيرة صخر شاهق يبلغ ارتفاع قنتهِ ٢٠٠٠ قدم تتلاطم امواج البحر عليهِ ويغطيهِ الضباب دوامًا ولما اقلع منها شكلتون ورجالهُ الخمسة بقارب قاصدين جورجيا الجنوبية كانت ثياب ويلد ورفاقهِ مغرَّقة بالماء وقد جلَّد الماء فيها من شدَّة البرد ومضى اسبوعان قبلما نشفت . وهرأ البرد اطراف بعضهم في الاسابيع الثلاثة الاولى ومرضوا من التعرُّض للبرد القارس . وكانوا قد حفروا حفرةً في الثلج اووا اليها فلما رأى ويلد انها لا تقيهم من الزمهرير رفع هو ورجالهُ القار بين الباقين من سفينتهم وقلبوها فوق الحفرة كسقف لها بعد ان اقاموا حولها صخورًا عالية وسدوا ما بين الصخور بما معهم من الخيش فصاروا في شبه خيمة او كوخ . وكان بعض الرجال ينامون على عوارض القار بين المتلوبين و بعضهم في ارض الحفرة فوق حصىً جمعوها من الشاطئ . وصنعوا من صفيحة فارغة من صفائح البترول موقدة يطبخون طعامهم عليها . وكان معهم طعام يكفيهم ستة اسابيع لكنهم حسبوا انهم قد لا يتقدرون في هذه المدة وقد تطول اقامتهم هناك فرأوا ان لا بد من الاقتصاد التام في ما معهم من الزاد

وكانت الجزيرة مباءة للفقم يقصدها اذا ذاب الثلج عن ساحلها فيستطيع الصعود اليها ولكن اذا علا عليها الثلج كثيرًا ابتعد عنها لانهُ لا يستطيع الصعود اليها حينئذٍ فجعلوا يحرقون الثلج من بعض الاماكن ليسهل على الفقم الصعود اليها فيصطادوهُ و يقتاتوا بلحمهِ ويشعلوا دهنهُ لنورهم ووقودهم

ومضت ايام الشتاء والزوابعُ متوالية والضبابُ مخيم على الجزيرة وكانوا يقضون تلك الايام على الصورة التالية بعد ما صار عندهم من الدهن ما يكفيهم : — ينهضون في الصباح الساعة الثامنة و يشرع الطبَّاخ يهيئ الفطور فلا يحضرهُ قبل الساعة العاشرة وهو قطع من لحم طائر البنغوين مقلوَّة بدهن الفقم وثلجٌ ذائب على النار حتى صار ماء . و يقوم الرجال بعد الفطور الى اعمالهم اليومية وهي جرف الثلج عن كوخهم وصيد طير البنغوين ولا بدَّ من ديدبان يقوم دائمًا رقيبًا يرقب البحر وقت الصحو على امل ان يرى السفينة مقبلة لانقاذهم . وكان واحد منهم يحزم امتعتهُ كل يوم معتقدًا ان السفينة تصل ذلك اليوم وعند الساعة الاولى بعد الظهر يجلسون لتناول الغداء وهو من البسطاط ودهن الفقم . و يقومون بعد الطعام للرياضة البدنية حفظًا لصحتهم وعند الساعة الخامسة يكون الظلام قد خيم

فيجلسون للعشاء وهو من لحم البنغوين ومشروب سخن . ولما نفد ما كان معهم من التبغ صاروا يدخنون الاعشاب التي حشيت بها احذيتهم . واتفقوا على ان يقرأ واحد منهم للباقين بالتعاقب مما انتقدوه من كتبهم وهي الثوراة والانسكلوبيذيا البريطانية وشعر برونتغ وتاريخ الثورة الفرنسوية تأليف كارليل ومقالات باكون . واذا جاءت ليلة الاحد قضوها بالغناء واللعب على القيثارة . وكان السر ارنست قد انقذ هذه القيثارة من السفينة لكي تكون مسلية لهم

ولما جاء عيد ميلاد الملك احتفلوا به ورفعوا الراية التي سلّمهم اياها لما سافروا

واتفق مرةً ان اصطادوا فقمة ووجدوا في جوفها سمكة كبيرة غير مهضومة فطبخوها واكلوها كأنها من اشهى المآكل وهي السمكة الوحيدة التي اكلوها

وفي اوائل اغسطس اخذ الجليد يذوب فظهرت الصخور ووجدوا عليها كثيراً من الحار والاعشاب البحرية فاكلوا منها وطابت نفوسهم . وكان معهم طبيبان اعتنيا بهم كل مدة الشتاء فلم يظهر فيهم اثر لداء الاسكربوط

وكان وَيلد قد عزم على انهُ اذا جاء اكتوبر ولم يأتِ احد لانقاذهم يركب القارب الذي بقي معهم ويحاول الوصول الى جزيرة دسيشن التي يؤمها صيادو الحيتان في الصيف ولذلك ادّخروا ما بقي معهم من البقسماط والسكر

وقبلما وصل شكلتون اليهم بيومين هبت ريح جنوبية شديدة واذابت ما بقي من الجليد الطافي على وجه البحر وفي الثلاثين من اغسطس كان الرجال جلوساً يتغدون من الحار وعشب البحر واذا باثنين منهم كانا واقفين خارجاً يرقبان البحر قد صرخا قائلين انهما يريان سفينة عند الافق . فهرع الجميع الى خارج الكوخ ورأوا السفينة واذا هي جارية وكأنها غير قاصدة اليهم فجمعوا ما لديهم من العشب والهشيم واوقدوا فيه النار لكي يرى من في السفينة الدخان فرأوهُ ودارت السفينة واتجهت نحوهم ولما دنت من الجزيرة نزل السر ارنست اليهم بقارب فاخبروهُ انهم كلهم سالمون وعلى تمام الصحة ثم سألوهُ متى انتهت الحرب لان الاخبار انقطعت عنهم منذ اكتوبر سنة ١٩١٤ أي حينما اقلعوا من بونس ايرس . فعاد بهم ولم يفقد منهم واحد

ثم جاءت الاخبار التلغرافية ان ملك الانكليز ارسل يهنئ شكلتون بنجاته ونجيته لرجاله كلهم مع الثناء على علو همته

تجارب في الكحول

الكحول هو المادة المسكرة في المسكرات على انواعها. وقد قرأ الدكتور برل الاميركي على الجمعية الفلسفية الاميركية مقالة وصف فيها سلسلة تجارب جربها حديثاً في الدجاج ليعلم تأثير الكحول فيه وفي نسله. ولما شرع في تجاربه كان ينتظر ان يحصل من الدجاج المكحول (الذي جرّع الكحول) على فراريج (كتاكيت) تختلف عنهُ في امر او اكثر وانهُ يمكن استخدامها في تجارب متعددة لحل مسألة الوراثة. فكانت النتائج التي توصل اليها بتجاربه موجبة للدهشة

وبيان ذلك انهُ جاء بتسع عشرة دجاجة في ربيع ١٩١٥ وجعل يجرّعها الكحول استئناساً ساعة كل يوم وبقي على ذلك بضعة شهور. وبعد سنة ونصف من بدء هذه التجارب ظهر ان الدجاجات المكحولة صارت اثقل من اخواتها التي لم تكحل وزناً واقل حركة. وفيما سوى ذلك لم يكن بين الفريقين فرق ظاهر. وكان متوسط الوفيات بين المكحولة قليلاً جداً بالنسبة الى ما كان بين الاخرى. ولكن لما كانت الدجاجات التي جُرّبت التجارب فيها قليلة العدد حسب الدكتور برل انهُ يستحيل الحكم في هل كان للكحول يدٌ في هذا الفرق

ولما نقس بيض هذا الدجاج خرج نسلهُ اعتيادياً لا يختلف عن غيره في شيء خلافاً لما كان ينتظر ولم يبدُ على فروّج واحد عارض يمتاز بهِ عن الفراريج المعتادة. ولكنهُ رأى بعد البحث الدقيق وجمع المعلومات والاسانيد الصحيحة من هنا وهناك ان الدجاج المكحول يبيض من البيض العقيم اكثر مما يبيض الدجاج غير المكحول. ورأى من جهة اخرى ان بيض المكحول تنفق عن أفراخ افضل من أفراخ الآخر. فانها جميعها رُبيت بعد التفريخ تربية واحدة من حيث الطعام والمسكن ولكن نسل المكحولة الذي بلغ دور البلوغ كان اكثر من نسل غير المكحولة. وقد كانت كلها وهي صغيرة متساوية في الوزن ولكن بعد بلوغها ثلاثة اشهر من عمرها او اربعة جعلت أفراخ المكحولة ترجح على الاخرى

و يقول الدكتور برل في تعليل هذا الفرق «ان الكحول بمثابة عامل انتخابي في الخلايا الجرثومية التي في الدجاج المكحول». فمن المعروف عند العلماء ان الخلايا الجرثومية تختلف اختلافاً كبيراً في الحيوان الواحد من حيث النشاط والحيوية. فاذا جرعت الدجاجة كحولاً

فانهُ يزيد الخلايا الضعيفة ضعفاً اما القوية النشيطة فتقاوم فعلهُ وتكون النتيجة عقم الضعيفة وبقاء القوية وبذلك يظهر نسل الدجاج المكرين احسن من نسل غيرهِ

هذه خلاصة تعليل الدكتور برل . على انهُ ظهر من تجارب الدكتور ستوكارد في خنازير غينيا المكحولة ان بعض نسلها كان يخرج معيوباً شاذاً عن الاصل خلافاً لما اثبتهُ تجارب الدكتور برل . ولكن الدكتور برل يعلل هذا الاختلاف وهذا الانحطاط بقولهِ ان الغدات كانت في الجراثيم الاصلية الضعيفة التي لم تقوَ على مقاومة فعل الكحول

أحلام الحشاشين

لو كان شاربو المخدرات يصفون لنا ما يسمعون ويرون لسمعنا طرباً ورأينا عجباً . نقول هذا القول مستدلين عليهِ بحركاتهم واعمالهم فما شئت من ضحك وقهقهة وما شئت من سجع ونظم و«بيع كلام» كما يقولون . والظاهر انهُ خطر لبعض ادباء المغرب ان يخبروا بالتصهر ما يسمعون عن احلام الحشاشين وما يرون باعينهم من دلائل بسطهم وانشراحهم وخلوهم من الهمّ فشرب دي كوينسي الكاتب الانكليزي المشهور الافيون وأولع بهِ فلم يعلق صبراً على فراقهِ فلزمهُ حتى آخر عمرهِ وكتب فيهِ كتاباً عنوانهُ «اعترافات آكل للافيون» . وحذا حذوهُ غير واحد منهم بارد تايلر فانهُ اخرج كتاباً اسمهُ «ارض المشارقة» Lands of the Saracen وصف فيهِ ما كانوهُ هو وصديقاً لهُ اسمهُ هريسون على اثر شرب ملعقة صغيرة من عقّار صنع من اوراق القنّب الهندي والافاويه والسكّر . فلم تمضِ على شربهم اياهُ اربع ساعات حتى عرت هريسون نوبة من الضحك ثم صاح بملء شدقيهِ «الله الله لقد اصبحت وابوراً» ثم بقي ساعتين يخطر في الغرفة التي كان فيها ذهاباً واياباً ويخطو خطوات متساوية ويزفر زفرات بخارية متقطعة كما يفعل وابور سكة الحديد . واذا تكلم قطع كلماتهِ الى مقاطع لفظ كلاً منها بنبرة وهو يحرك يديهِ عن جنبيهِ كانهُ يدير عجلات

اما تايلر فرأى ما هو اغرب من ذلك — رأى نفسهُ واقفاً عند هرم الجيزة الاكبر يحاول الصعود عليهِ واذا هو على قنّتهِ . ثم تطلع الى اسفل فخيل اليهِ ان الحرم مبنيٌّ من قطع من الدخان الانكليزي المعروف باسم دخان كفندش . وانتقل بغتة الى الصحراء فرأى نفسهُ يجتازها في قارب مصنوع من عرق اللؤلؤ ومرصّع بجواهر نادرة في حجمها وصنائها . ولم يكن

الاَّ القليل حتى ان مرة عضَّا سمك فيهِ الابار يق بعضها الى جانب البعض والسمك يتطر منها

ولما اشتد فعل العقار عليهِ ازدادت رؤاهُ غرابة وشناعة فرأى جسمهُ مشوهاً على اشكال شتى ومع ذلك لم يسمهُ الاَّ الضحك وشعر بجفاف شديد في فيهِ وحنجرتهِ كانهما ليسا منهُ او كانهما صنعا من نحاس وخيَّل اليهِ ان لسانهُ مبردٌ زج في فيهِ . وكان صوت دورته الدموية يدوي في اذنيهِ دوي السيل الجارف واندفع الدم الى عينيهِ حتى عاد لا يرى بهما شيئاً . واحس بان قلبهُ يكاد يتصدع لشق صدرتهُ وحاول عدّ نبضاتهِ فشعر كأن لهُ قلبين قلباً يضرب الف ضربة في الدقيقة وقلباً يضرب منتداً بصوت خافت . ثم نام ثلاثين ساعة متوالية

وروى جوتييه ان ساغماً كبيراً لم يذكر اسمهُ ساح في الشرق وتناول جرعة كبيرة من الحشيش فكان يرى كل شيء مزدوجاً . ومرت على مخيلتهِ صور اشباح غريبة من الطيور الخرافية التي زعموا انها تمتص دماء المعزى الى الاوز المخطط فالاسود المجنحة فالغول فالعنقاء فطارت امامهُ ارويث او انسابت في ارض الغرفة كالافاعي . ورأى قروناً مورقة مزهرة وايدي آدميين متصلة اصابعها بنسيج لحمي كايدي البط وانساساً بارجل كارجل الكراسي ومقلٍ كوجوه الساعات والنرف كالابراج وسوق كسوق الدجاج وهم يرقصون رقصاً غريباً . وتوهم انهُ بيناه ملكة سبا (بلقيس) تجعل يقلّد امرات الطيور جهد ما استطاع . وكان في خلال ذلك كلهِ حاضر الذهن فتناول ما وصلت اليهِ يدهُ من ظروف المكاتيب وقطع الورق الملقاة على مكتبهِ ورسم عليها صور الطيور والحيوانات الغريبة التي كان يراها ولما خفت سورة الحشيش رأى انهُ كتب تحت احد هذه الحيوانات « هذا من حيوانات المستقبل » وهو حيوان شكلهُ كشكل وابور سكة الحديد بعنق كعنق الاوزة تنتهي الى فكين كفكي الافعى يقذفان دخاناً . ولهُ ثم آخر ضخم مؤلف من عجلات وبكرات . وابر كثيرة كل زوجين منها لهُ زوجان من الاجنحة . وعلى رأس ذنبهِ جلس عطارد احد آلهة الرومان القدماء

وتناول آخر غيرهُ عشر قمحات من الحشيش بحضور صاحب لهُ فصاح بهِ « احذر لئلاَّ تكتبني » فقال لهُ « ماذا جرى بك » . قال « ألا ترى اني دواة فاذا كبستني اندلق الحبر مني واتلف غطاء المكتب الابيض » . وبقي ساعة يتصرف في اعمالهِ كأنهُ دواة فيرفع رأسهُ ويخفضهُ كأنهُ يفتح الدواة ويغلقها ثم ينتفض فيشعر بالحبر في جوانبهِ ويراهُ

ومن اشهر ما يشعر به الحشاشون رؤية الاشياء القريبة عظيمة البعد ورؤية الثواني القصيرة ساعات او اسابيع طوالاً . وهذا الشعور من نوع شعور الحالمين . قال آخر ممن جرّب الحشيش « رأيت غرفتي عظيمة الاتساع وما فيها من جماجم الحيوانات المعلقة على جدرانها ضخمة كأنها جماجم الحيوانات البائدة التي عاشت في العصور الخالية . وخيّل اليّ اني انظر اليها منذ سنين فتناولت ساعتي فعلمت انهُ لم يمرّ عليّ منذ شربت الحشيش سوى ٢٠ دقيقة وعلى اثر هذا العلم زال ذلك الوهم مني الى حين . ثم رأيت ساعتي تتسع وكأن صوت دقاتها صوت العالم كلهِ مجتمعاً فتناولت قلماً لعلّي اخطّ به بعض ما جال في خاطري فخانتني يدي وشعرت بان اصابعي كارجل الزيلاء في دقتها فسقط القلم الى ارض الغرفة وسمعت لسقوطهِ صوتاً كقصف الرعد . وحانت مني التفاتة الى الشباك فرأيت الافق عظيم البعد مفعماً بدوائر من نور ونار وهي متشابكة يدور بعضها على بعض وما لبثت ان قذفت الى كبد السماء كأنها سهام نارية ثم هبطت في غابة من الاشجار فجعلت الاشجار تحترق واغصانها تلتفّ حتى ملأت الافق . فاجهدت نفسي لاعلم الوقت فرأيت انهُ مضى عليّ ٢٥ دقيقة منذ شربت الحشيش فصحت — ٢٥ دقيقة لا بل ٢٥ يوماً بل ٢٥ شهراً بل ٢٥ سنة بل ٢٥ قرناً بل ٢٥ دهراً . الآن اعرف ذلك كلهُ . لقد اكتشفت اكسير الحياة وسأعيش ابد الدهر . وكانت قلبي يدقّ سرعاً ودقاتهُ كانخفاض الجبال تحاولت عدّها حتى اذا عددت واحداً اثنين ثلاثة توهمت انها قرن وقرنان وثلاثة فصحت صيحة شديدة من تصوري اني عشت من الازل وسأعيش الى الابد في قصر اعمدتهُ وسقفهُ من عقيق و ياقوت وزمرد والاعمدة ثابتة على بحر من الذهب

ثم جاءتني الخادم بالقهوة فرأيت كأن الفنجان مرجل كبير نقشت عليه صور التنانين اجمل نقش واخذ يتسع حتى احاط بالعالمين . ولاحت الخادم كأنها واقفة منذ ساعة وهي تبتسم حائرة لا تدري اين تضع القهوة لان الاوراق كانت متناثرة تملأ وجه المكتب . فازحت بعضها وشهقت شهقة بددت التنانين فامتلأ البيت روائح تساقطت كأنها رشّ مطر فوضعت الخادم القهوة فكان لصوت وقعها على المكتب رنة في كل عظم من عظامي كأنما عشرة آلاف مطرقة تعمل فيّ معاً . وظهر وجه الخادم مبتسماً حتى بلغ تجهم بلون ثم توارت كالبرق الخاطف فجعلت اصفق واصيح وسط الوف من مصابيح تبينتها فاذا هي نار حباحب فشربت القهوة فشعرت بحرارة لا تحتمل ثم نظرت الى ساعتي فوجدت انهُ مضى عليّ ٤٠

دقيقة منذ مضغت الحشيش . فنهضت الى سريري بعد الجهد الشديد لطول ساقي . ولما اخذت انزع ثيابي طارت الى الفضاء فاضطجعت في سريري فاذا بهِ يمتدُّ حتى ملأ هو و بدني رحاب الارض كلها . وشعرت بعد ذلك بالم مبرّح لا يوصف و بأنَّ جلدي يخطر ذهاباً واياباً على لحمي ورأسي قدم واتنفخ حتى بلغ حجماً كبيراً ثم انقدَّ جسمي شطرين من فوق الى اسفل . ولم يأتِ صباح اليوم التالي حتى عدت الى حالتي الطبيعية »

ومضغ طبيب الحشيش فقال انهُ رأى في جوفهِ الحشيش الذي مضغهُ فاذا هو شبه زمردة يخرج منها الوف من الشرر . وتمت احدابهُ بسرعة فلم يلبث طولها الدمين انقلبت كخيوط ذهب حول عجلات صغيرة من العاج كانت تدور مسرعة . ولاح اصحابهُ حولهُ كأنهم حيوانات نصفها نباتات . فانتصب من بينها كركيّ على ساق واحدة وخطب خطبة بالايطالية في الموسيقى فنقلها الحشيش بالاسبانية . وبعد هنيهة اشتدَّ صممهُ حتى كان يسمع اصوات الالوان الاخضر والاحمر والازرق والاصفر . وخاف ان يتكلم لئلاَّ تتهدم الجدران وتنفجر القنابر القنابل . وسمع خمس مئة ساعة او اكثر تدقّ معلنة الوقت في حين ان لم يكن في الغرفة غير ساعة واحدة . وسبح في بحر من الصوت عامت عليهِ قطع موسيقى الاوبرا كأنها جزر من نور . وشعر وهو في البحر كأنهُ اسفنجة وكانت امواج البسط والانشراح تندفع عليهِ في كلّ لحظة فتدخلهُ وتخرج منهُ بطريق مسامّهِ . وظهر لهُ انهُ مرَّ عليهِ وهو على هذا الحال ثلاث مئة سنة . ولما فارقتهُ النوبة رأى ان زمانها الحقيقي لم يتم اكثر من ربع ساعة

هذا وقد سألنا بعض الذين دخنوا الحشيش مرة او مرتين في زمانهم فقالوا ان كل ما شعروا بهِ انشراح في الصدر وطرب كالذي يشعر بهِ شارب الخمرة لم يلبث ان انقضى باسرع مما اتى . على ان مدمني الحشيش يشعرون بانبساط يزداد بزيادة الادمان حتى لتد يخيلون انهم ملوك على عروشهم . فمن كان منهم صاحب مزاج عصبي ميالاً الى اللهو والمرح والطرب والتحب ازداد ذلك فيهِ . ومن كان ذا مزاج سوداوي ّ ساكوتاً قليل الحركة غلبتهُ الكآبة واشتد صمتهُ ولزم مكانهُ لا يبرحهُ ولو مكرهاً فكأنهُ ينشد قول الشاعر

فقلتُ يمين الله ابرحُ قاعداً وان قطعوا رجلي لديك واوصالي

اديصن اكبر المخترعين

واسلوبهُ في البحث والتحقيق

لما اكتحلت عيننا برأى كنيسة ميلان ورأينا كم مرَّ عليها من الاعوام بل من القرون والمهندسون والصنَّاع دائبون على العمل فيها وافراغ ما بلغوهُ من الحذق والمهارة في نحت تماثيلها وتنسيق نقوشها قلنا قولاً لا نزال نردده وهو

ولن ترى عملاً تقضي السنون بهِ الاَّ اذا جاءهُ الانسان عن شغف

وهذا شأن اديصن اكبر مخترعي اميركا ان لم يكن اكبر مخترعي المسكونة فانهُ مشغوف باعمالهِ مستعبد لها كما سترى في السطور التالية وهي مبنية على ما كتبهُ عنهُ المستر اوليفر سيمونس في مجلة منسي الاميركية

كان اديصن منذ ٤٤ سنة فقيراً مدقعاً طاف في شوارع نيو يورك في شهر سبتمبر تلك السنة يومين كاملين من غير طعام وهو يفتش عن رجل يقرضهُ دريالاً . وهو الآن يملك الالوف والملايين بفضل مخترعاتهِ الكثيرة وحسبنا ان نعدَّ منها المصباح الكهربائي الذي تنار بهِ اكثر البيوت في المدن الكبيرة ، والفونوغراف الذي يسلي كثيرين بما يطربهم بهِ من اغاني كبار المغنين والمغنيات . والمركبات الكهربائية التي استعاضت عن البخار بالكهرباء وآلات الصور المتحركة التي هي اكبر مسلٍّ ومدرّس لجمهور الناس هذا عدا كثير من المخترعات الصغيرة

وسر نجاحهِ في الاختراع مواظبتهُ على عملهِ فانهُ يكاد يطلّق النوم والطعام في سبيل الاختراع . فعملهُ لا ارتباط بينهُ وبين شروق الشمس وغيابها ولا بين الجوع والشبع . وما دام عقلهُ مشتغلاً فيستحيل عليهِ ان يجلس على مائدة او ينام في فراش . ولقد اشتغل حتى الآن كأنهُ عاش مئة وخمسين سنة مع انهُ لا يبلغ السبعين الاَّ في شهر فبراير التالي . ولا يظهر عليهِ انهُ ناهز الستين

اذا كان شغلهُ عادياً نام خمس ساعات فقط كل يوم من الساعة الثانية بعد نصف الليل الى السابعة صباحاً ولكنهُ اذا التفت الى موضوع غير عادي يستغرق وقتهُ كلهُ طلّق النوم ثلاثاً . وهو لا يفتخر بانهُ يستطيع العمل من غير نوم بل لانهُ يعلم ان عملهُ يشغلهُ عن النوم

ولدى المخترع عقبتان الاولى افراغ الخاطر الذي يخطر لهُ في القالب الذي يصلح لهُ . والثانية جعل هذا القالب مما تروج سوقهُ ويكون منهُ ربح لمخترعهِ وصانعهِ ولذلك لا يكتفي اديسن باختراع الآلة بل يتقنها حتى يسهل العمل بها ويكون منها ربح لصانعها

وهو يعلم ان يداً واحدة لا تصفق فيستعين بالمساعدين ويبث فيهم روح الهمة والنشاط فيجارونهُ في اتمالهِ ويعمل كلٌّ منهم مثل نصف ما يعملهُ هو على الاقل . وتراهُ يرشد كلاً منهم الى العمل الذي عيَّنهُ لهُ ويتركهُ فيهِ لكي يجرب ويتمرن ويتنبه الى كل امر كلياً كان او جزئياً . وهم يتعيَّنون الفرص تحيناً لتناول شيء من الطعام لئلاَّ تخور قواهم من الجوع وهو مع ذلك لا يضطرهم الى مواصلة العمل اضطراراً وغاية ما هنالك انهُ يوصيهم لكي لا يضيعوا دقيقةً من اوقات سدًى وشعارهُ من هذا القبيل « ان قلت ريحك فافعل ايها الرجلُ » فلا يوصيهم بشيء الاَّ وهو قدوة لهم فيهِ

وعندهُ سبعة من الشبان يساعدونهُ وقد اشتغلوا مرةً نحو ١٥٠ ساعة كل اسبوع مدة خمسة اسابيع وبقيت المصابيح انكهربائية مضيئة في معملهِ كل هذه المدة نهاراً وليلاً

وبقي الى سنة ١٩٠٢ يشتغل ١٩ ساعة ونصف ساعة كل يوم ثم قلل شغلهُ فجعلهُ ١٨ ساعة ولكنهُ كان يتخطى ذلك احياناً فيشتغل عشرين ساعة في اليوم اذا لاح لهُ بارق اختراع جديد . اما مساعدوهُ فضعفت عزائمهم في الاسبوع الاول وثقلت اجفانهم من النعاس واحمرَّت مقلهم من السهر وخدرت ارجلهم من البرد وخارت قواهم من الجوع ثم الفوا ذلك وجعلوا يأكلون مما يأكل ووقتما يأكل فعادت اليهم القوة والبهجة

وهو من المقلين في طعامهم فاذا اكل اللحم اكتفى بقطعة كالبيضة او ابدلها بسردينتين وقليل من الخبز المحمص . ويكتفي بنحو مئة درهم من الطعام كل يوم ويقول ان ذلك يكفي البالغ ما لم يكن عاملاً يتعب كثيراً . ويفضل من الاطعمة البطاطس والبصل والفول مع قليل من اللحم ثم الفاكهة المطبوخة ويقول ان هذا يجب ان يكون طعام العامل

لما صار في يدهِ الريال سنة ١٨٧٢ على ما تقدم دخل مطعماً وابتاع منهُ من التفاح المطبوخ وشرب فنجانين كبيرين من القهوة فاسترد قوتهُ وثقتهُ بنفسهِ وبعد ساعتين وجد عملاً يعملهُ

قد يقول قائل ان كان اديسن ورجالهُ يكتفون بنوم اربع ساعات او خمس ساعات في يوم فلماذا لا يكتفي بذلك كل احد . والجواب انهُ ما كل احد يجد عملاً يستهويهِ

ويمتلك لهُ حتى لا يشعر بتعب مهما عمل وسهر كما وجد اديسن ورجالهُ فانهم يعملون كمن اضاع شيئًا وهو يفتش عنهُ او كمن عمل آلة وبقي شيءٌ لازم لاتمامها فلا تتمُّ بدونهِ

واسلوبهُ في اجراء اعمالهِ انهُ يضع الخطةَ التي يجب ان يجري عليها رجالهُ في اعمالهم ويتولَّى هو مراقبتهم ومساعدتهم واذا سنحت لهُ فرصة ربع ساعة رأى انهُ يسهل استغناؤهم فيها عنهُ استلقى على مقعد او طاولة واغمض عينيهِ . وكان قبلاً يطوي سترتهُ ويضعها تحت رأسهِ ولكنهُ وجد ان طي السترة يستغرق لحظةً من وقتهِ فارسلت اليهِ زوجتهُ وسادة من بيتهِ فصار يضعها تحت رأسهِ . واذا حدث اثناء نومهِ ما يستدعي ايقاظهُ أيقظهُ العمال حالاً وويل لهم اذا لم يوقظوهُ . وهو يستيقظ حالاً اذا مسهُ احد بيدهِ . وكلُّ ما يجدُّ في التجارب التي يجريها رجالهُ يستدعي ايقاظهُ لانهُ حريص على رؤية كل شيء اذا لم يكن قد رآهُ قبلاً

كان مرةً ينتظر امراً ذا شأن من التجارب التي كان يجريها فاستمرَّ مستيقظًا ثلاثة ايام بلياليها لم يغمض لهُ جفن . واتفق مرةً انهُ بقي يومين كاملين يعمل من غير نوم وعلى غير جدوى فقال لهُ صديق على مَ هذا التعب على غير فائدة فقال لهُ اخطأت فاني استفدت كثيراً من هذه التجارب لانني عرفت بها اموراً كثيرة لا تصلح فصرت اجتنبها

لما كان يحاول اتقان الفونوغراف جعلهُ يردد اغنية واحدة الفين وخمسماية واثنتي عشرة مرة الى ان بلغ الغاية التي كان يتوخاها وكان قد اناط هذه التجارب بعمالهِ فنام في غضونها مراراً ولكنهُ كان يستيقظ حالاً كلما انتهى الفونوغراف من ترديد الاغنية مرة اما رئيس عمالهِ فسئم الاغنيةَ وودَّ ان لا يسمعها مرة اخرى في حياتهِ مع انها اغنية مطربة لانهُ لم يسمع غيرها مدة شهر من الزمان فاستكت منها اذنهُ وآذان رفاقهِ قبلما رددها الفونوغراف خمسمائة مرةً ولكنهم اضطروا ان يسمعوها الفي مرة بعد ذلك . ومرَّ على هذا الرجل حينئذٍ عشرة ايام متوالية لم ينم فيها الاَّ ساعة واحدة كل ليلة وكانت المدة المفروضة لنومهِ خمس ساعات كل يوم مثل أديسن

لكن التجارب لا تكون دائمًا على نسق واحد بل هي في الغالب متنوعة تنوعاً يسلي من يراقبها و يلذُّ لهُ قال هذا الرجل انهُ يشعر وهو يراقب هذه التجارب كما يشعر لاعب البوكر الذي يقضي احيانًا اربعين ساعة متوالية وهو جالس امام طاولة اللعب لا يكلُّ ولا يملُّ . وما من احد يستطيع ان يواظب على عمل زمانًا طويلاً الاَّ اذا أولع بهِ واستحسنهُ . وكل

مساعدي اديسن من هذا القبيل . ويجب ان يكون ذلك مثالاً للآباء لكي لا يطلبوا من اولادهم ان يواظبوا على عمل الاَّ اذا استحسنوهُ واولعوا بهِ . والشغف بالعمل ضروري للنجاح لان النجاح يقتضي المزاولة الطويلة ولا يصبر المرء على هذه المزاولة الاَّ اذا شغف بعملهِ . ومن رأي اديسن ان الامتحان هو مقياس النجاح في السياسة والادارة كما في الصناعات ولا يحسن ان يُقبَل رأي مهما كان الاَّ بعد ان يمتحن ويعمل بهِ

ومن مزاياهُ ان عينيهِ لا تكلان من طول السهر والتحديق وقد تمرَّط لذلك بان علَّق فوق رأسهِ مصباحاً كهربائياً ساطع النور جدًّا يعلو عن الارض مترين بوضعهُ منحرفاً لو مدَّ خط عمودي منهُ الى الارض لوقع على نصف قدم من كتفهِ الايسر . فان نور هذا المصباح وهو في هذا الوضع لا ينعكس عن الورق الذي امامهُ الى عينيهِ . والزجاج في كوى الغرفة التي يكتب فيها مصفر اللون ليحجب الاشعة الحمراء من نور الشمس . ومن يقم في نور مثل هذا يستطع ان يشتغل عشرين ساعة متوالية بعد نوم اربع ساعات من غير ان تحمر عيناهُ او تتعبا

وقد وضع القواعد التالية لحفظ الصحة وهي

اجتنب الاشربة الروحية

اذا شربت القهوة كنبه لمنع النعاس فامزجها بكثير من اللبن

لا تأكل اكثر مما يستدعيهِ عملك لان على جسمك ان يعمل هذا العمل فلا تتعبهُ بما يزيد عن حاجتهِ من الطعام

اجتهد حتى يكون حولك كثير من الهواء النقي دائماً وحتى يكون النور مناسباً لعينيك

اترك الاهتمام باشغالك حالما تستلقي في فراشك لتنام

لا تتعاطَ الاَّ العمل الذي ترضاهُ لنفسك وتفضلهُ على كل عمل آخر واجتهد حتى يكون من الاعمال الكثيرة التنوُّع حتى لا تسأم من تعاطيهِ . وليكن عملك لذتك وعماد حياتك في حاضرك ومستقبلك . اذا لم يكن لك عمل مثل هذا فتفتَّش عن مثلهِ والاَّ فارضَ بالنوم والكسل

وما قيل عن اديسن يقال عن اكثر الذين ارتقوا بجدهم واجتهادهم وتؤيدهُ اقوال الحكماء والباحثين في طبائع الانسان . وما احسن قولهم « ومن طلب العلى سهر الليالي »

طبقات الناس بعد الحرب

رأينا بالامس شريفاً من اشراف الانكليز جالساً في مجلس السائق يسوق اتومبيلهُ بضابط لعلهُ اباهُ كان خادماً عند ابي ذلك الشريف . ويقال بنوع عام ان هذه الحرب اغضت عن مراتب الناس القديمة ولم تنظر الاَّ الى تفوقهم في حسن الرماية وسعة الحيلة والصبر في الملمات ولكن هل تبقى الحال كذلك بعد الحرب

كتبت كونتسة ورك الكاتبة الانكليزية الشهيرة مقالة في هذا الموضوع في مجلة ناش الانكليزية قالت في ديباجتها ان صاحب تلك المجلة سألها هل تساوي هذه الحرب بين طبقات الناس او يخرجون منها وقد زادت الطبقات العليا علوّاً اما انا فلا شك عندي ان الرابح متساوون في الطبقة . ومن غرائب الاتفاق انني قبلما اخذت القلم لاكتب هذه السطور وقع نظري عرَضاً على جريدة مصورة وفيها صورة الملك جورج والملكة ماري وهما يتحدثان مع الجنرال السر وليم روبرتسن رئيس اركان الحرب بل مدير الاسلحة البريطانية الذي يعترف لهُ كل احد بحسن الادارة . ولقد كان هذا الجنرال في اول امره جندياً بسيطاً فارتقى الى ان صار في هذا المنصب الرفيع على ما في نظام الترقية البريطاني من الحوائل العظيمة في سبيل طلاَّب الارتقاء . وقد وقفتْ هذه الحوائل في طريقهِ ولكنهُ تغلَّب عليها وهو الآن لاشعار لهُ الاَّ الكفاءة فلا يحسن احداً ما يحق لهُ

ولقد كان الاستحقاق في انجلترة عندنا مقدماً على النسب فاذا جرت الحرية هذا المجرى وجب ان يكون لعملها اثر كبير في البلاد لان الحرية كانت دائماً مقاومة للمساواة بين طبقات الناس ولم يكن في البلاد سلطة اقوى منها تجبرها على الرضوخ لاحكام الزمان

واني اذكر هنا ما قالهُ لي جنرال مشهور بالامس فانهُ كان يتكلم عن الجنود الذين جنَّدوا حديثاً من جمهور السكان الذين لم يكونوا يفرقون منذ سنتين بين نوع من المدافع وآخر فقال « انهم برهنوا على انهم مثل افضل الجنود في الشجاعة والاخلاق ولا ينقصهم الاَّ التمرُّن حتى ان العدو شهد لهم انهم لا يفوقهم احد من جنود الارض . والصفات الجوهرية التي هي قوام الشعب الانكليزي هي التي تحتاج البلاد اليها سواء كانت في اولاد الازقة او اولاد القصور »

لو قال هذا الجنرال هذا القول منذ سنتين حسب رصفاؤهُ انهُ مجنون . ولقد قامت الآن الوف من الادلة على صحة القول المأثور وهو « ان ساحات الرياضة في مدرسة اتن

هي التي احرزت النصر للانكليز في معركة وترلو» . ومهما يكن من امر المجد والتنشئة فانهما لا يغيران الانسان . والشاب الذي تخرج في مدرسة اتن والذي تخرج من اصلاحية او من مدرسة صناعية اثبتا انهما متساويان في الرجولية . والذين رأوا حرب الخنادق أيدوا هذا القول وكاد الناس كلهم في البلاد الانكليزية يقولون بصحته . وزالت الفطرسة التي كانت تجعل الراغبين في اصلاح الاجتماعية على اليأس . ولا جدال في ان النساء يتمسكن بما بين الناس من الفروق اكثر من الرجال ومن السبب في الاحتفاظ بهذه الفروق سواء كان ذلك عن قصد منهن او عن غير قصد

ولكن النساء رأين الآن خطأهن ولا اعني انهن عرفن ان كل طوائف الناس تتساوى تحت التراب اذ انها هدفا للبلايا على حدٍّ سوى لان ذلك من البديهيات التي لا يختلف فيها اثنان وانما اعني ما اظهرهُ نساء انكلترا في هذا الزمن العصيب من الهمة والاهتمام الحقيقي بمشاركة الجميع في الضراء . ماذا فعلت لادي ڤيردن ڤير . كانت قبل الحرب مقتنعة ان الله اختارها لاظهار عظمته وان فيها من التفوق على غيرها من البشر ما يتعذر عليها تحديدهُ وانها فاقت غيرها بمزايا خاصة بها لا بما لديها من الثروة . لكنها مفطورة على الرأفة والحنان وحب الوطن فلبّت نداء بلادها حالما سمعتهُ فوجدت انها في الادراك والمقدرة والصبر لا تتاس بغيرها من الذين كانت ترفع عنهم . وانها لا تساويهم الأ في عزمها على العمل جهد طاقتها

والمستشفى هو المكان الذي يساوي بين الناس فهناك رأت هذه السيدة قصورها عن غيرها . وبعد تنقلها من عمل الى آخر شفيت مما كان في نفسها من التعجب وانكسار وقلة الحيلة وهي الآن شديدة العزيمة محبة للعمل تفتخر بما يحق لها ان تفتخر به وتعدُّ سائر النساء اخوات لها وتبذل جهدها في اصلاح شأنهن . وقد ابطلت الدعوى التي كانت تؤيدها بالفعل ان لم تؤيدها بالقول وهي ان الناس طبقات يمتاز بعضهم على بعض بالفطرة وتحققت قول كبلنج وهو ان زوجة الامير وزوجة الحقير اختان من دم واحد

وزبدة القول ان الاعتراف بالمساواة جاء لا من قبيل السوقة بل من قبيل السراة . وقد قلتُ « السوقة والسراة » مجاراة للاصطلاح القديم وارجو ان يبطل هذا التفريق بين الناس في المستقبل فيكونوا كلهم طبقة واحدة لان الذين كانوا يعدون انفسهم سراة وحكاماً جعلوا يدركون الآن ان لا اساس لدعواهم وان الذين كنا نعدهم سوقة ولا شأن لهم في مصالح الامبراطورية البريطانية سفكوا دماءهم في الذود عنها مثل السراة ولم يحجم احد

من كل طبقات الامة بل اقدم الجميع الى حيث احتدمت نار الحرب وحرقت التقاليد القديمة التي كانت تفصل بين هذه الطبقات. ولا اقول ذلك اعتباطاً ولا من باب التكهن بالمستقبل لانهُ قد مرَّت سنتان واصدقائي واقاربي يذهبون الى ميدان القتال و يعودون او يعملون في معامل الاسلحة والذخائر وانا اغتنم كل فرصة واسأَلهم واستخلص عن مجاري الاحوال. واري الآن انا اذا رجعنا بعد الحرب الى عاداتنا القديمة وآرائنا العتيقة فيا خيبة المسعى. ولكن ان كان لنا امبراطور به تسخق ان نعيش لها ونموت عنها فسنعلم او سيعلم اولادنا ان الدماء التي سفكت في هذه الحرب لم تذهب هدراً بل جاءت بخير المنافع لانها شدَّت اواصر الامة بعضها ببعض

ولقد ظن البعض ان كثيرين سيجازون بعد الحرب بترقيتهم الى مصاف الاعيان فيزيد تأييد هذه الطبقة. ولكن الذين يُرقَّون على هذه الصورة هم مثل الذين اشتروا رتبهم بالمال او رُقُّوا اليها لغرض سياسي وكلهم لا يحتمل ان يدَّعوا التفوق على غيرهم او يتشبثوا به

المعري وفلسفته

(٢)

عزلته

زهد المعري في الدنيا واعتزل الناس لانهُ كما اسلفنا لم يكن لهُ في الدنيا حظٌّ ولا بمعاشرة الناس طاقة. والعزلة مضادة لطبع الانسان بل لطبع كل حيوان أليف لان الحيوانات الاجتماعية نحن بالرغم منها الى رفاقها ولا تطيق الابتعاد عنها حتى لقد تؤثر الوحدة في بيتها كما تؤثر فيها قلة العلف ومواصلة الاجهاد. وقد روى شارل مرسيه صاحب كتاب العقل والجنون [1] وروايتهُ مشاهدة محققة «ان الجلابين العارفين بعادات الماشية والانعام يذكرون ان البقرة المعزولة لا تدر اللبن ولا تسمن ولا تصلح لشيء مما تصلح لهُ البقرة وسط الصوار». فالاجتماع ضرورة جسمية في الحيوان الاليف قبل ان يكون حاجة نفسية او ميلاً قلبياً. ولن يلجأ الى العزلة رجل متسق البنية متوازن القوى لان اتساق البنية يغني من صاحبهِ استكمال ضروراته ومن اوفاها كما قدمنا الاجتماع والتآلف. وانما

(1) Sanity and Insanity by Charle Mercier.

يرغب في العزلة الشاذون عن اسوياء الخلق إذ يفتكروا ويتبتلوا او ليقطعوا الطريق ويلجوا بل لنشأة الاجتماع شروط الخير عنده وعلى اوضاعه ويغلب في امر النسك والتعفف ان يكونوا من ذوي المزاج السوداوي الذين ينقبضون عن عشرة الناس وينقبض الناس عن عشرتهم لتباينهم عنهم في المشارب والاطوار ولان اهل النظر واهل العمل قلما يتفقون في الآراء والافكار . ولا شك عندنا في كون المعري من اصحاب المزاج السوداوي لان السوداء معروفة باعراضها وهي الوجوم والحزن المخ المجهول السبب والاكثار من ذكر الموت وسوء الظن بالناس بل بالنفس احياناً في ازمات النوبة التي تحرج الصدر وتغيم على الرأس . اما الاعراض الاولى فقد طفح بها شعر المعري ونثره فلا نستطيع ان نستشهد لها ببيت من دوار بدٍ دون بيت . واما سوء الظن بالنفس فقد جهر به المعري مراراً فقال : —

ان لازت الناسَ اخلاقٌ يعاش بها فانهم عند سوء الطبع اسواء
او كان كل بني حواء يشبهني فبئس ما ولدتْ في الخلق حواء

وقال : —

رويدك لا تغترر يا أخيَّ بي فانا الرجل الساقطُ
ولو كنت ملتَ بظهر الطريق لم تلتقط مثلي اللاقطُ

وقال : —

كلاب تعاوت او تغاوت لجيفة واحسبني اصبحت ألأمها كلبا

ويبلغ به اتهام نفسه احياناً ان ينكر عليها العلم والعقل ويرى انهُ امرؤ لا نفع فيه لاحد اذ يقول : —

ماذا تريدون لا مال تيسر لي فيستاح ولا علم فيقتبسُ
انا الشقي بأني لا اطيق لكم معونة وصروف الدهر تحتبسُ

ولو كان ما بعلمهُ المعري من الفقه والفلسفة والادب واللغة والسير في صدر رجل آخر مبرزاً من ثوب السوداء لملأ الارض بعلمٍ غروراً وتطاولاً لان غاية العلم عندهُ ان يسألهُ الناس فيجيبهم وهم لا يسألون عن شيء لا جواب لهُ عندهُ . ولكن المعري القائل :

اذا كان علم الناس ليس بنافع ولا دافع فالخسر للطاه
قضى الله فينا بالذي هو كائن فتمَّ وضاعت حكمة الحكماء

يرى للعلم احياناً وظيفة اجل من الاجابة على الاسئلة ويرى ان اقصى العلم ينتهي بصاحبه

الى باب المجهول الابدي الذي يرد كل طارق ولا يطرقهُ الا كل حائر راغبة ألفاز الحياة وبهرتهُ مصاعبها فترك الناس يحبون ويذهب يبحث عن مغزى الحياة واسبابها وغاياتها فما استطاع ان يجيب نفسهُ وعلم انهُ بالسكوت عن اجابة غيره اولى . وقد يمكننا ان نتصور حالة التلاميذ الذين كانوا يسمعون من المعري هذا الاقرار بالجهل وهم لا يتمنون من العلم الا ان يبلغوا فيهِ مبلغهُ فلا بد انهم كانوا يرمونهُ بالبخل بالعلم ولا يصدقونهُ حتى ضاق بهم فقال

أتأمرون جهولاً ان يفيدكمُ وتجهلون سفياً ضرعها يبسُ
ما يعجب الناسَ الا قول مختدعٍ كأن قومًا اذا ما شُرِّقوا أُبسوا

ولعمري ان كلمة البخل بالعلم التي شاعت في العصور العربية المتوسطة لتدل على جهل الناس يومئذٍ بالعلم الحقيقي ولباب المعرفة لان العلم الصميم هو الذخيرة الفذة التي لا قبل لحاملها بالبخل بها كما انها تدل على نوع العلم الذي كانوا يطلبونهُ في ذلك الزمن وعلى غرضهم منهُ . واحسبهم لم يستنبطوا هذه الكلمة الا بعد ان اصبح العلم تجارة يحملها العلماء الى الامراء متوخين فيها مآربهم ومدارهم واصبح البخل بالعلم معنى يخل الصانع الحاذق بسر صنعتهِ . ولعل هذا ايضاً مما حبب العزلة الى المعري واضجرهُ من قاصديهِ الذين كانوا يفدون اليهِ من اقاصي البلاد وادلهُ بذم العلماء والتشهير بالمشعوذين والمغشاشين والمجربين من النجمين الذي يشغلون فراغ العلم اذا خلا منهُ مكانهُ

بيد ان السوداء لا تهدي الى العزلة دائمًا وقد تهدي الى نقيضها ليكون السوداوي خليعاً ماجناً مستهتراً بالشهوات مغلوباً على عقلهِ بهواهُ لكنهُ على كل حال شبيه المعتزل في الشذوذ عن الخلقة السامة المعتدلة . وكثيراً ما تتقارب العلل وتتباعد المظاهر في تقدير الناس . فاين التصوف والجذب مثلاً من التهافت على المرأة والجنون بغرامها ؟ ولكنهما في نظر الطب متشابهان في مصدرهما ان لم يكن مصدرهما واحداً . يقول مرسييه المتقدم ذكرهُ بعد شرح طويل : « ان انكار الذات اساس يلتقي عندهُ الهوى الديني بالهوى الجنسي ولا يزال كل منهما يشبه الآخر حتى بعد تكوينهِ ونضوجهِ فهما متماثلان في طبيعتهما الشاملة المتشعبة وهما يتماثلان قبل هذا التكون والنضوج في غمرض الاوصاف والخصال . ولا تفاقهما في الاصل ولتقاربهما في الطبيعة يسهل ان يتحول احدهما من مجراهُ الى مجرى الآخر . ومن ثم نرى ان انكار الذات والمفاداة بالنفس اللذين يحملهما العاشق عن حبيب خاطر مرضاةً لمشوقهِ ظاهران في عاشق انكليسة بمثل تلك الغيرة او باشد منها وان كان

ظهورها في شكل آخر فكأن الحميمة قد حلت محل المشوق في هذه الحالة وكذلك التي احتسى من العاطفة ان تنحصر في فرد واحد تسع لطائفا لا عربة عن نفسها في اعمال البر وخدمة البشر ولكن لا بد من دخول عنصر المفاداة بالنفس في هذه الاعمال او تظل العاطفة منطفئة غير مقتنعة و يظل الاسراب عنها ناقصاً . وهذا هو السر فيما نشاهده من ان اعمال البر القائمة على الهوى الديني والتي تشتق مصدرها البعيد من الهوى الجنسي لا تزال تبدي باساليب شتى كلها ينطوي على المفاداة بالنفس والايثار عليها »

وهذا قول بمنزلة البداهة عند اكثر الاطباء المشتغلين بطبائع العقل ولا غرابة سواد القراء يستبعدونهُ لان الوقائع التي تؤيدهُ كثيرة و يندر ألاَّ يرى احدهم اناساً من الغالين في الدين انقلبوا الى الغلو في اللهو او اناساً من التالين في اللهو انقلبوا الى الغلو في الدين . يرون ذلك فيهم ولا يرونهُ في المعتدلين القاصدين الا في الفرط القليل . فيعجبون لذلك ولكنهم يقولون غلبت عليهِ الشقوة او تاب عليهِ الله . وليس اشهر من رمز المتصوفة والزهاد الى الجمال وكلفهم بهِ اعجاباً بصنع الله فهم بذلك يمزجون بين حب الله وحب الجمال الانساني ومن الناس من تعاورهُ الحالتان للغي آونة وللتقوى آونة اخرى كأبي نواس الذي نظم في الوعظ ما يزجر المارد ونظم في الغواية ما يفسد العابد . ولم يكن في احدى حالتيهِ مرائياً يعبر عما لا يشعر بهِ ولكنهُ كان لا يندم حتى يأثم ولا يأثم حتى يندم . وكأبي المتاهية الذي قضى شطر عمرهِ الاول منغمساً في لذاتهِ رضيواتهِ ثم قضى شطراً من ايامهِ مبالغاً في التنطس والتقشف ثم حضرتهُ الوفاة فكانت آخر حاجة لهُ في الحياة ان يسمع غناء مخارق . وكان احرص الناس على عرَض الدنيا وهو اكثرهم بباطلها عرفاناً واشدهم للموت ادكاراً

وقد ينبغي لنا هنا ان نقول انهُ قد مضى الوقت الذي كانوا يقارنون فيهِ الاخلاق والعادات باسمائها في اللغة . فالهوى الديني والهوى الجنسي متناقضان ايما تناقض في عرفنا وهما متصلان في المنشإ كما قد رأينا . والسرف ضد البخل في اللغة ولكن احدهما اشبه بالآخر من القصد بالسرف مثلاً او من القصد بالبخل والقصد هو الحد الوسط كما يقولون فكان ينبغي على هذا القول ان يكون اقرب الى الطرفين من احدهما الى الآخر . ولكنهُ اذا بحثنا عن اسبابهِ بعيد جداً عن الخلتين المذمومتين اما هما في القرب والمساواة بحيث يكاد احدهما يحل محل الثاني . و يظهر هذا التقارب اوضح ظهور بين العائلات الشاذة في اخلاق افرادها فان شذوذ هؤلاء الافراد لا يبرز لنا في وجهة واحدة بل يجمع فنوناً مختلفة من البدوات والاخلاق فيكون الرجل غاية في التقتير واخوهُ غاية في التبذير و يكون فيهم الزاهد المتحرج

والجشع المتقم وقد يتعصب احدهم ولا سيما اذا قرب قد خلع العذار وركب رأسه في الفجور والفحشاء. وقد ذكر « نسبت » صاحب كتاب جنون العبقرية (١) عائلات عدة من هذا القبيل منها عائلة (ديجرين) وقال عنها « ان الشره في هذه العائلة عرض من اعراض الخبل العصبي يلوح الى جانب الجنل والورع الشديد » . وكذلك الطمع ضد بذل المال ولا سيما البذل في سبيل البر ولكنهما في حكم الطب فرعان من شجرة واحدة او كما يقول نسبت ايضاً « ان الطمع وحب البر خلة جسمانية لا يزال ارتباطها بالاضطراب في الدماغ الشوكي بادياً جلياً » ولاستواء هذه الخلال المتعارضة في الشذوذ تقترن احياناً بشذوذ العبقرية فيقل في العبقريين الاعتدال ويكثر فيهم الطرفان اي التبذير والشح ولا حاجة بنا الى عد العبقريين المبذرين لانهم القريق الغالب بينهم . اما الاشحاء فنعدد جماعة نذكر منهم جريراً ومسهل بن هرون وابا العتاهية والبحتري ومروان ابن ابي حفصة والمتنبي وابا الفرج الاصبهاني وهم من فحول شعرائنا وكتابنا . وقد ذكر نسبت عائلة اقترنت فيها العبقرية في القانون والشعر والموسيقى والادب بالحذق في تدبير المال وهي عائلة نورث الشهيرة : فبعد ان مهد الى علاقة الحرص بالعبقرية قال : « كان فرنسيس نورث خازن جيمس الثاني احد اخوة خمسة لهم اخت واحدة وكان ابو هذه العائلة يقرض الشعر ويباشر المسائل المالية فورث عنه ابناؤه هذه الملكة الاخيرة وظهرت فيهم مظاهر شتى فمنهم هذا الخازن وكان اديباً مدبراً وقد وصفه ماكولي بالاثرة والجبن وخسة النفس . . . . . » ومضى يسرد اسماء الاخوة ويصفهم بما لا يخرج عن مفاد هذه الاوصاف واراد بهذا وبما تقدمه ان يثبت ان للشذوذ اصلاً واحداً وان تنافرت الوانه واختلفت فيه آراء الناس فمدحوا بعضاً منه وذموا بعضاً

ونحن لم نعرض لهذه الآراء لنجنس آداب المعري ونحط من قدر اخلاقه وخصاله او نسوي بين ما يمدحه الناس وما يشنأونه من الاخلاق الشاذة فان تقارب اسباب الشذوذ لا يمنع ان يحب الناس منه ما ينفعهم ويحسن عندهم ويكرهوا ما يضرهم ويقبح في نظرهم . ولكننا رأينا فريقاً من الكتاب يتلمس المشابهات بين فئات الشعراء من كل طريق الا من طريق المشابهة في الامزجة فبعضهم يقسم الشعراء حسب اختلاف العصور مع ان اختلاف مني الولادة لا يستلزم في معظم الاحيان الاختلاف في المشرب الشعري وهذا عدي بن يزيد المتوفى قبل مولد المعري بنحو خمسة قرون اقرب اليه في تحبيبه الى الشعب الهالكة وتعييبه

(١) The Insanity of Genius by Nisbet.

على الدنيا من الشريف الرضي وصهاره الدبيثي وهما من شعراء عصره . وبعضهم يقسمهم حسب الاسلوب اللغوي ولا بأس بهذا التقسيم اذا كان الغرض منه لغوياً ولكنه لا يغني في نقد الشعر وتقدير الشاعر . وبعضهم يقسمهم حسب الموضوعات التي يتناولونها في اشعارهم وكان الاحرى ان يعنوا بكيفية تناول تلك الموضوعات لا بمجرد تناولها . ومنهم من اذا بحث في الاخلاق اغفل البواعث الباطنة وتمسك منها بعنواناتها المنكشفة ومن هؤلاء من قارن بين المعري وابي العتاهية فابعد البون بينهما لأن ابا العتاهية كان يكنز المال وهو يذم الدنيا ويذكر الناس بالموت ولم يكن المعري كذلك . ولعمري ان كنز ابي العتاهية المال لأدل على صحة خوفه من الموت وابين لمزاجه السوداوي من القصد وتصديق القول بالعمل . والعجيب اننا كنا نناقش بعض الادباء في هذا الصدد فقال ان المعري نفسه كان يكره ان يقارن بابي العتاهية واستشهد بقوله فيه :

ابدى العتاهيُّ نسكاً وتاب من ذكر عتبه
والخوف ألزم سفيـ ـنَ ان يفرّق كتبه

كأن رأي الشاعر في نفسه حجة على الناس في النظر اليه وكأن المعري كان يحسن الظن بنسك احد غير ابي العتاهية وهو الذي شمل الانبياء بقوله

قد حجب النور والضياء وانـا دينا رياه
يا عالم السوء ما علمنـا ان مصليك الضياء
لا يكذبن امرؤ جهولٌ ما فيك لله اولياء

ولا نخالنا نغضب روح المعري اذا قلنا انهُ لولا عماهُ وتربيتهُ الاولى وبيت العلم الذي نشأ فيه والكوارث التي نكبتهُ في صباهُ والقلاقل التي فشت في زمانه وشيءٌ من ضعف البنية وما خلقهُ الجدريُّ والحصبة في جسمه منذ طفولته لما كان بعيداً ان يحمو به المزاج السوداوي نحواً آخر غير الزهد والعزلة

كراهة البشر

وقد يرتكب بعض نقاد الغرب مثل هذا الخطإ في تقسيم الشعراء الى فئتين : محبي البشر (Philanthrope) وكارهي البشر (Misanthrope) لانهم يعدون من كارهي البشر اولئك الشعراء الذين يسخطون على الناس ويتبرمون بهم ويتجنبون مخالطتهم . وعلى هذا عد المعري اكره الناس للناس لقوله على الاقل

هل يغسل الناسَ عن وجد الثرى مطرٌ ... ثم بقوا لم يبارح وجههُ دنسُ
والارض ليس يرجوُ طهارتها ... الاَّ اذا زال عن آفاقها الأنسُ

والحقيقة ان اكره الناس للناس واضرهم بهم ليسوا بمعزل عنهم بل هم الذين يعيشون معهم حيث يصل اليهم اذاهم واذا استعمل المجاز قلنا انهُ لا يقهر الناس الاَّ رجل يخوض معهم غمار هذا المعترك ويقاتلهم بسلاح امضى من سلاحهم . اما المختفي عنهم فلا يكون الاَّ رجلاً طرح السلاح والتزم موقف الحيدة . والانسان لا ينفر عن الناس لانهُ لم يستطع ان يكرههم وهو عائش بينهم بل لانهُ لم يجد فيهم من يحبونهُ كما يحبهم . وكم كان المعري يعدل عن سوء ظنهِ بالناس ويسترسل اليهم فيردهُ اذاهم الى سوء الظن بهم ويتعجب لنفسهِ كيف ذهل عن رأيهِ فيهم فيقول : —

طهارة مثلي في التباعد عنكمُ ... وقربكمُ يجني همومي وادناسي
واعجب شيء كيف اخطيُ دائمًا ... على انني من اعرف الناس بالناس

وهو قول رجل لا يتمالك نفسهُ ان يتبسط بالنودة لابناء جنسهِ ثم لا يلبث حتى ينقبض بكرها فيذوق لهذا الانقباض ألمًا يجري على لسانهِ سخطًا وتذمرًا وما هو بسخط ولا تذمر . وهل ترى في قولهِ : —

اذا كان اكرامي صديقيَ واجبًا ... فاكرامُ نفسي لا محالةَ اوجبُ

او قولهِ : —

إنْ تُردْ أن تخصَّ حرًّا من النا ... سِ بخيرٍ فخصَّ نفسكَ قبلا

الاَّ قول رجل يرى ان الانانية خلاف الواجب ولكنها امر تدعو اليهِ الضرورة والاَّ مجاهدة منهُ لاقناع نفسهِ بخلق جديد لا ترتاح اليهِ ؟ وهل قال المعري في الحفيظة على الناس اكثر مما قال في الحفيظة على نفسهِ او تمنى هلاكهم اكثر مما تمنى هلاكهُ هو لنفسهِ ؟ فهل يقال ان المعري كاره لنفسهِ بالمعنى المفهوم من كراهة الانسان للبشر ؟ ولقد اوصى الانس بالطير وهو يحذر بعضهم من بعض فقال

تصدق على الطير النوادي بشربةٍ ... من الماء واعددها احق من الانسِ
فما جنسها جانٍ عليك اذيةً ... بحالٍ اذا ما خفت من ذلك الجنسِ

فالرحمة ثابتة في طباعهِ الاَّ انهُ ينتقل بها من موضع الى موضع كما ينتقل المرء بالهدية المردودة

اشتراكيته

على ان المعري يبدو في بعض اقواله كانه من شعراء الاشتراكية كقوله : —

لقد جاءنا هذا الشتاء وتحته فقير معرّى او اميرٌ مدوَّجُ
وقد يرزق المحدودُ اقوات امةٍ ويحرم قوتاً واحدٌ وهو احوجُ

وقوله : كيف لا يشرك المضيقين في النعمة قوم عليهم النعماء

وقوله : ان شقًّا يلوحُ في باطن البرّ ة قسمٌ بيني وبين الضعيفِ

ثم ان الاشتراكية لا تعتمد في حقوقها على الرحمة ولكنها لا تطلب من شعرائها اكثر مما قال المعري

الجبر وتحريم اللحم

وقد خصصنا الكلام على الآن بدرس مزاج المعري لاننا لا نعود بفلسفة الرجل الاّ الى مرجع واحد وراء كل مرجع وهو مزاجهُ وما اضافهُ اليهِ تأثير البيئة فكل ما يؤثر عنهُ من التقشف والتشاؤم والقول بتنازع البقاء والنهي عن الزواج لم يزدهُ الاطلاع والتحصيل الاّ صيغة العبارة واصطلاحات العلم . وما قلناهُ عن هذه الآراء نقولهُ عن رأيهِ في الجبر وتحريم المحرم . اما الجبر فهو سبيل كل رجل يشعر في نفسهِ بتضارب الاحساسات وتحكم الطبائع ويعلم بعد مكابدتها انهُ لا حيلة لهُ فيما يرضى او فيما يأبى وانهُ لا اختيار لعقلهِ فيما ينوي وفيما يصنع . وما كان التضارب في الاحساس والفكر احدٌ مكاشفة المعري فانتهى بهِ الامر الى الجزم بان الارادة مغلولة والاهواء مستبدة والعقول مقهورة حيث يقول

وقد غلب الاحياء من كل وجهة هواهم وان كانوا عطارفةً غلبا

وحيث يقول

والعقل زين ولكن فوقهُ قدرٌ فما لهُ في ابتغاء الرزق تقديرُ

فهو يتكر في مذهب الجبر لا مقلد . اما تحريم اللحوم فليس اعجب من القول بانهُ اقتفى فيهِ مذهب الهند . ولو كان المعري كاهناً هندياً برهميًّا مترياضاً لما عجبنا للامر لانهُ انما يخضع لسلطان عقيدة دينية ويخشى عقاب قدرة الهية . اما وهو رجل قد شكَّ في الديانات وهزأ بشعائرها وفرائضها فمن العجيب حقًّا ألا يكون لهُ باعث على ترك اللحم اربعين سنة إلاّ الايمان بمذهب البراهمة . وعندنا ان المعري كان لا يشتهي اللحم بطبعهِ وكان فقيراً مع رحمة

مفرطة فيه وكان به ميل الى تعذيب النفس كما هو شأن بعض اصحاب الامراض العصبية في رأي ماكس نوردو وغيره من الاطباء . وما يفقد عرى ذلك مذهب افتود البراهمة الا اخراج هذه الاميال في صبغة مذهب فلسفي . ولهذا بدأنا مقالنا وختمناه بان مفتاح البحث في فلسفة المعري انما هو درس مزاجه ورد افكاره وخواطره الى خواص هذا المزاج التي ساعدتها البيئة على الظهور

خاتمة

وقبل ان نختم هذا البحث نستحسن ان نشير الى بعض مآخذ لاحظناها على احد اشياخنا الكاتبين عن المعري بياناً للفرق بين النقد النظري والنقد الاستقرائي فان الكاتب مع عنايته بتتبع الآثار التاريخية وشرح احوال العصر الذي عاش فيه المعري لم يوفق الى انصاف المترجمين للمعري ولم يقدر آراءهم قدرها

فمن ذلك انهُ اشار الى قول من قال ان سبب سخط المعري على الدنيا عسر الهضم فتجهل برفضه وقرر استحالتهُ ولا برهان لديه ينقضهُ . ولا ندري نحن لماذا يستحيل عسر الهضم على رجل دائم الكآبة سوداوي المزاج مدمن لاكل البقول ملازم دارهُ لا يبرحها

وقارن بين ابي العلاء وابي العتاهية فقال « مرجليوث اجتهد في ان يقارن بين ابي العلاء وابي العتاهية في هذا الشعر الفلسفي فزعم ان بين الرجلين تشابهاً وتابعهُ على ذلك سلمون . ولقد كنا نحب ان نجتهد في بيان هذا الوهم الذي وقع فيه هذان العالمان لولا ان دائرة المعارف الاسلامية التي يكتبها المستشرقون سبقت الى هذا فجعلت قياس ابي العلاء الى ابي العتاهية غلطاً وسيفاً اذ كان ابو العتاهية يستقي من الدين ويتقيد به وكان ابو العلاء يستقي من الفلسفة ولا يتقيد بالدين وهذا الفرق ظاهر الاثر في شعر الرجلين . وخصلة اخرى لم تلتفت اليها دائرة المعارف وهي ان ابا العتاهية على كثرة ما استعان بالدين في زهده الذي ملأ به ديوانهُ كان فاسقاً مستهتراً بالمجون بخلاف ابي العلاء الذي استقى الفلسفة واتهمهُ الناس بالزندقة والالحاد فانهُ لم يمل الى لهو ولم يذهب مذهب المجون »

فهو وافق دائرة المعارف لمخالف مرجليوث وسلمون ولكنهُ لم يشأ ان يوافق الدائرة كل الموافقة فذكر انهُ التفت الى شيء لم تلتفت اليه وهو مجون ابي العتاهية . على انهُ عاد بعد ذلك فاقتدى بالدائرة في مقارنتها المعري بابيقور وقال « ابو العلاء يرى رأي ابيقور هذا كما تدل عليه الزوميات في مواضع كثيرة نجتزئ منها بقوله : —

ولم اعرض عن اللذات إلاَّ لأن خيارها عني خستْ

فليس من الغريب بعد ذلك ان يشبه ابو العلاء بالاشتراكية في النساء (ص) فكيف اذن تكون مجاراة اللذات روح فلسفة المعري الاخلاقية ولا يكون بيت شبه بين شعر وشعر ابي العتاهية لان هذا ماجن مستهتر باللذات ؟ اما نحن فلا يسعنا الاَّ ان نعجب برأي دائرة المعارف الاسلامية وان نسوقهُ شاهداً على ما فصلناهُ قبلُ في تحليل اطوار امزاج السوداوي وما يتشاب اصحابهُ من الاطوار المتناقضة ولا نقول كما قال ان المنطق لا يقبل المتناقضات فيلزم من ذلك أن يكون كل عقل منطقيًّا

ومع ان حضرة الكاتب حريص على ان يوصف بالتدقيق في استقصائهِ نراهُ يزعم ان المعري كان على « مذهب الباحثين من علماء الافرنج في هذه الايام » اي انهُ « يمنع ان يكون الناس مشتقين من سنخ واحد » ولا نعلم نحن ان هذا مذهب الباحثين من علماء الافرنج وانما هو خاطر مرجح عند طائفة منهم . ولا نحسب الكاتب كان يقبل ان ينسب الى المعري رأيًا كهذا لو انهُ قاس درجة العلم في عصرهِ قياساً دقيقاً (اولاً) لان القائلين بهذا الرأي من علماء اليوم لم يعمدوا اليهِ الاَّ بعد إنعامهم في درس مسألة الانواع والاجناس درساً علميًّا استقرائيًّا (وثانيًا) لان كلام المعري كلهُ خلو من كلمة اخرى تسندهُ . وما اراد المعري بقولهِ :

وما آدم في مذهب العقل واحدٌ ولكنهُ عند القياس اوادمُ

الاَّ ان آدم هذا المذكور في الكتب الدينية ليس باقدم آباء البشر ويفسر هذا المعنى قولهُ في بيت آخر

جائز ان يكون آدم هذا قبلهُ آدمٌ على إثر آدمْ

فليس الخلاف بين المعري والمحدثة على عدد اصول النوع البشري بل على قدم اولها وابن هذا من رأي تلك الطائفة من علماء اليوم ؟

ولكنني بهذا القدر اذ كنا لا نقصد الى نقد الكتاب وانما مررنا بما لهُ مساس بموضوعنا والكلام على آداب المعري ومعارفهِ فرصة اخرى

عباس محمود العقاد

مصر منذ خمسين سنة

(١٠)

وداع القاهرة

ها انا مغادر القاهرة مدينة الغرائب والعجائب . اقرأها على الصفحات واصف بعد ان مكثت فيها ثمانية اشهر درست فيها حالة مصر والمصريين وتعودت معيشتهم وخبرت احوال الشرق والشرقيين وعوائدهم . تركت مدينة الآثار وقد كانت زاهية زاهرة حية عامرة والآن قد عبث الدهر بقصورها وجوامعها ومبانيها الفخمة وعفت رسومها فاصبحت خرائب دارسة . كانت القاهرة كغيرها من مدن الشرق لابسة ثوباً قشيباً من الحضارة والغاء وزاهرة في العلوم والفنون والآن اصبح ثوبها هذا بالياً . على انني ارى ان دلائل اليقظة والتجدد تجددت فيها ولا بد ان يأتي يوم قريب تصبح قاعدة الصلات بين الغرب والشرق او بين اوربا والهند الانكليزية

احصاء سكان القطر المصري

وفي هذا المقام اذكر تعداد اهالي القطر المصري بحسب الاحصاء الاخير الذي عملته الحكومة من عهد قريب . وقد اتبعت فيه طريقة غريبة غير وافية ولا مدققة ولكن يمكن بواسطتها معرفة عدد السكان بوجه التقريب فليس عند الحكومة المصرية قيد ولا سجلات للمواليد والوفيات لمعرفة عدد الاهالي ولم تتبع في التعداد الطريقة المتبعة في اوربا في احصاء سكان كل حي ومسكن مأهول بل اتخذت عدد البيوت والمساكن قاعدة للاحصاء وهذه الطريقة كثيرة الخطاء كما لا يخفى فحسبت ثمانية نفوس في كل مسكن من مساكن القاهرة . وستة في كل بيت من بيوت الارياف وقراها . وخمسة في كل بيت من مدن الاسكندرية وبولاق ومصر القديمة ورشيد . واما دمياط فلما كانت مدينة عامرة كثيرة السكان افترضت في كل بيت منها ستة نفوس . فبلغ تعداد سكان القطر المصري على هذه الطريقة في الاحصاء ٢٥٠٠٠٠٠ مليونين ونصفاً من النفوس منها مليون ومئتا الف من الذكور والباقي من الاناث . ومن الذكور ارى بعمانة الف من القادرين على حمل السلاح . وظاهر من هذا الاحصاء ان مليونين من المصريين مسلمون و ٦٥ الفاً قبط وعشرة آلاف ترك وثلاثون وخمسة آلاف سوريون مسيحيون . وخمسة آلاف روم . والفين ارمن . وخمسة آلاف يهود . ونحو سبعين الفاً من النوبيين والبرابرة والعبيد . ولم يدخل في هذا الاحصاء

العربان والعرب الرحّل وسكان الواحات والصحارى فليس لهم منازل للاحصاء . واما سكان القاهرة وحدها فبلغوا ثلاثمائة الف نفس

الذهبية او المركب

نقلت كل صناديقي وامتعتي التي جمعتها في مصر حتى ريش ببغاي وقفاص الطيور الى الذهبية او المركب الذي استأجرته وكان راسياً في مرفإ بولاق واخذت جاريتي زينب واستصحبتها . وقبل ان ابرح القاهرة قصدت ان اودع اصدقائي ومواطني . فذهبت الى سدام بونوم ترجمانتي فتلقتني في مخازنها الداخلية وارتني شيئاً كثيراً من امتعة السفر من خيام وظلال وادوات الخ ومقددات وماكولات محفوظة ومشروبات فابتعت شيئاً منها يكفيني للوصول الى سوريا . ثم اوفدتني امام مجموعة من الرايات واعلام الدول البحرية المختلفة وقالت لي انتق ما تشاء من هذه الرايات . فقلت لها وما فائدتي منها انول وتبني حامل اللواء وهل انا ذاهب للحرب . قالت ان كل السياح والافرنج يحملون معهم رايات الدولة التي ينتمون لها و ينصبونها فوق خيامهم او يرفعونها فوق صواري المركب في اسفارهم الليلية لئلا يعتدي احد عليهم . فالرايات الاجنبية لها حرمة ومهابة في قلوب الاهالي وعدا ذلك فلست مضطراً ان ترفع راية دولتك الفرنسوية فان اكثر السياح على اختلاف جنسيتهم يفضلون رفع الراية الانكليزية في هذه البلاد فوق خيامهم ومراكبهم الليلية لانها اكثر امنية ومهابة في عيون الاهالي كما ان الراية الفرنسوية تفضل في سوريا على غيرها من اعلام الدول واما في بلاد فلسطين فاكثر السياح يرفعون راية دولة سردينيا الكاثوليكية (كانت وقتئذٍ تحت حكم آل سافوي ملوك ايطاليا الآن) فانها اكثر قبولاً وحرمة عند اباء الاراضي المقدسة فقلت لها اذا كان ولابدّ من ذلك فلا ارفع الا راية دولتي الفرنسوية

حفلة خنان

وفي صباح اليوم التالي اقلع بنا المركب من مرفإ بولاق وكان راسياً بجانب قصر عظيم لاحد الامراء المماليك استولى عليه الباشا وجعله مدرسة للصنائع والفنون الحربية . ورأيت هناك في فضاء واسع من الارض اكواماً من الفخار والخزف من جرار وازيار وقوارير وقلل وكلها من صنع بلاد الصعيد الاعلى تحمل من هناك على اطواف . وبعد ساعة وصلنا الى جزيرة رملية بين بولاق وامبابه وهناك سكنت الزنج وفرز المركب في الرمال فقطس البحرية وكانوا ستة الرمن فدفعوا المركب الى الماء بعد تعب ومشقة وكانت وجوههم تتصبب

عرفاً و « الريس » جالس على المقعد فوق ظهر المركب يدخن بنارجيلته كأنه بائد اربعين اسطول باقي الاعمار

كان المركب يسير بنا الهوينا لسكون الريح الى ان وصلنا عند الظهر الى الضفة اليمنى على بعد ميل من بولاق عند حدائق قصر بناه احد امراء محمد علي باشا هناك يكثر قصب الغاب على ضفاف النيل وقد نبت اعمالنا من تلقاء الضفادع فاين نبات النوتس الارجواني والبردي واين طيور الملقلق التي كانت كثيرة على ضفاف النيل كما يصفها لنا السياح الاقدمون ؟

ولما مالت الشمس للغروب رأيت عن بعد انوار مصابيح تنعكس اشعتها الفضية عن الماء وسمعت انغام الرباب والناي والمزمار تخللها اغنية شرقية اطلالة « يا ليلي يا ليلي » وبلغ الى سمعي نشيد متكرر بدوياته « يا ليالي الافراح » ولما قربنا من الشاطئ رأينا جمعاً كبيراً من الناس يموجون في ساحة واسعة وبينهم النساء الغرويات والغلمان يسرحون و يرقصون و ينشدون و يصفقون طرباً على قرع الطبل والدربكة فظننت انهم في حفلة عرس او مولد ولي كالموالد التي شهدتها في اسواق القاهرة . وبعد هنيهة وقف بنا المركب عند تلك القرية وامر الريس بانزال المرامي وطي الشراع فدهشت من ذلك وتقدمت اليه وسألته بجدة

ماذا تقصد هل تريد ان نبيت هذه الليلة هنا بعد ان قضينا ست ساعات في النيل لم نجتز فيها بعد ميلين . فاجاب بعدم اكتراث نعم لان الريح ساكنة (الهوا بطال) ولا يمكننا ان نقلع من هنا قبل عصارى الغد حينما تهب الرياح الجنوبية الغربية الموافقة لمسيرنا . قلت مر رجالك اذاً ان يجروا المركب بالحبال من الشاطيء . قال يجب حينئذ ان ادفع لهم اجرة مضاعفة وعدا ذلك فليس في صك الاتفاق المعقود بيننا ما يضطرني الى جر المركب عند سكون الريح وحقيقة الامر ان توامر القنصلاتو الذي استأجرلي الدهبية من هذا المراكبي المدعو رمضان على اخذ منه صكاً مكتوباً باسمي ومرفوعاً عليه امام قاضي القسم . فرضخت لحكم القضاء وقلت للريس لا باس وسأبيت هذه الليلة في غرفة الدهبية . وكان فيها غرفتان مفروشتان ولما نافذ مشبكة مطلة على النيل وعلى ظهرها مقاعد شبه ايوان مفروش حوله قصاري الزهور والرياحين . فاجابني « لكني ادعوك الى هذه البلدة لتشرف منزلي فعندي حفلة طهور اقيمت منذ امس وهذه هي الليلة الاخيرة . قلت ولكني لا استطيع ترك جاريتي هنا وحدها . قال فلتأت معنا ولتقم مع حرمي فانها ستسر كثيراً وتشترك معنا بالفرح

فوجمت في بدء الامر من غرابة دعوته ولكني تأكدت بعد ذلك ان الرجل حسن النوية كريم

اخلق وهو من اعالي تلك البلدة (شدا البلد) المبنية على ضفاف الترعة الشبراوية . وانهُ اقام حفلة ثانية عند ابنهِ الذي ترك فيها كل ما يربو راس مالهِ حسب العادة

ولما وصلنا الى البلد دخلنا الرجل الى منزلهِ وامامهُ ساحة واسعة ازدحم فيها الاهالي رجالاً ونساء وظلوا فاستقبلونا بالزغردة والاناشيد كما في اعراس قيصر بدخول رومية ظافراً . فدخلت زينب الى غرفة حرم الرجل ثم اخذ بيدي واجلسني على فراش امام رجل شيخ ذي لحية بيضاء وعرفني بهِ وقال لي انهُ ابوهُ وانهُ يعرف كثيرين من رجال الحملة الفرنسوية ويفهم شيئاً من هذه اللغة . فسررت جداً من هذا التعارف الا اني وجدت ان هذا الشيخ لا يفهم من لغتنا سوى بضع كلمات التقطها من افواه الجنود في الشوارع . وحدثت نفسي بان استأجر حماراً وارجع الى القاهرة من طريق شبرا فاقضي السهرة في مكتبة مدام بونوم وآخو بقزاعة الجرائد وطالعة الكتب دفعاً للملل ولكن التفاف القوم حول حلقة الرقص والاناشيد الوطنية على وقع المزمار والطبل ألهاني عن هذا القصد . وطاف الناس يوزعون القهوة والتبغ على الحاضرين ووزعت « البوظة » في قصاع من خشب على النوبيين والبرابرة وكانوا حول حلقة الرقص وحدهم . والبوظة تصنع من نقيع الشعير وكانت معروفة عند المصريين الاقدمين وقد وصفها هيرودوتس في كتابهِ عن مصر بانها « خمير الشعير »

ثم التفتُّ نحو رفيقي الشيخ لافهمهُ بالحديث وقلت لهُ هل رأيت نابوليون لما كان بمصر . فنظر اليَّ ببلاهة وظهر لي انهُ لم يفهم ما اقول وهز رأسهُ مستفهماً . فقلت لهُ عجباً الا تعرف نابوليون بونابرت ولست شيخ . فلما سمع كلمة بونابرت ابرقت اساريره وجعل وحنى رأسهُ كثيراً الى الامام علامة الاحترام وبدأ ينشد نشيداً عربياً بدؤهُ « يا سلام بونابارته » بالنغم الفرنسوي فعلمت ان هذا الجنرال لم يكن معروفاً في مصر الاَّ بهذا الاسم . فاغرورقت عيناي بالدموع بينما كان الشيخ ينشد نغماً فرنسوياً وطنياً . ولما ذكرت لهُ اسماء القواد العظام الذين كانوا في الحملة كنز وكليبر وبرتولي مدير الضبط والامن العام في مصر قال انه يعرف هذا الاخير وكان طويل القامة ضخم الجثة مهيب الطلعة والمصريون لا يحسنون النطق باسمهِ فكانوا يدعونهُ « فرخ الرومي » . وبدأ الشيخ ينشد نغماً عربياً كان شائعاً وقت الاحتلال هذه ترجمتهُ « حبيبي لابس برنيطة وعلى حزامه الشريط الاحمر . جيت لبوسه قال لي « آسيتاً » (توقف) الله يخرس في سواد عيونه . عيونه عيون الغزلان يا ما احلى فرخ الرومي وفي ايده الفرمان بالعفو والامان »

ثم ابتدأت حفلة الختان باجتماع القوم واركبوا الغلام ابن الرئيس على جواد وهو بثياب زاهية مقصبة وحوله رفقاؤه الغلمان في المدرسة يشيرون في عنق الحدم الرحبة التي كان يقرأ ويكتب فيها وعليها آية قرآنية من خطه وبجانبه العريف معلمه وفي الجانب الآخر الحلاق المطهر ومساعده وبين ايديهما الطشت والموسى وغيرهما من ادوات « التطهير » وسار هذا الموكب في طرقات البلدة بين زغردة النساء ودق الطبول ثم المزمار ورش القاق بماء الزهور ولما رجع الموكب الى المنزل وقف اربعة من الغلمان وحملوا شالاً حريرياً من اطرافه ووضعوا في وسطه لوحة الغلام المشار اليها ودارواً بين القوم يجمعون النقود او النقطة ويقال لها عندهم « الصراعة » باسم الغلام والحقيقة انها لا يبيع اعانة له مقابل النفقات التي صرفها على الحفلة

ثم جاء دور الحلاق المطهر فجلس بين الغلام وذويه والطشت وادوات التطهير بين يديه وكان كل من الحضور يتقدم ويضع في الطشت بعض قطع من النقود وهي « نقوط » للمطهر ومساعده

ثم عملت عملية التطهير بين زغردة النساء واغاني القوم وضجيج الطبول ثم المزمار والناي حتى لا يسمع صراخ الغلام وبكاؤه وعند خلاء العلبة وضعت الموائد للعشاء فجلس اولاً الحلاق المطهر ومساعده والعريف ثم اهالي البلد في دوائر او حلقات حول المائدة وكان كل من بالصف الاول يأخذ قطعة من اللحم فيقضم منها شيئاً ويناولها لمن كان خلفه في الصف الثاني وهكذا بالتتابع الى ان تصل الى الدائرة الاخيرة ولم يبق منها سوى العظم فيجردونها ويلقونها وراءهم الى دائرة الكلاب . وعند الفلاحين كل الناس يشتركون في الولائم والافراح حتى كلاب الحي . وهذا منتهى الكرم

فجلست اتفرج على هذه الوليمة بسرور وعند ختامها وزعت القهوة على الحاضرين والبوظة على النوبيين ودار الرقص والغناء على وقع الناي والرباب الى ما بعد نصف الليل وكان ذلك ختام الحفلة

القابة المتحجرة

استيقظت باكراً والقوم كلهم نيام فبدأت افكر كيف اقضي ذلك اليوم الى ان تهب الريح الجنوبية عند المساء . فخطر على بالي « القابة المتحجرة » وهي على بعد ساعة من القاهرة عند صحراء هليوبوليس . وكنت قد التقيت رانما في سيرا احد بلاد اليونان بصديق لي من ضباط البحرية الفرنسوية اهدى اليّ غدارة بديعة الصنع وطلب مني ان احضر له معي عند

وجوعي بعض فلم متفرجة من هذه الغابة حتى اذا ورد بن الزبير ... رجوعي من سوريا اضعف عدد ... وترى دي فار بشارح ... وروعة السياح بمنظر بعض مقدمة ركب كثيف اذوره خجلاً لو التقيا بصديق هذا مرة وقد اطلق سمة الرعد وعدا ذلك فالي اتخذ هذه الفرصة لاتفرج على الغابة المتحجرة العجيبة والمسلة الفرعونية القريبة منها . فابتطت الريس وذكرت له عزمي هذا فاحضر لي حماراً نشيطاً عارفاً الطريق فخرجت من البلدة وسرت على ضفة الترعة الشرقية ورأيت آثار ترعة ادريان القديمة التي سفرت على عهد ادريانوس القيصر الروماني بين النيل والبحر الاحمر وسميها بالغة به من مدينة السويس غير ان رمال الصحراء طمرتها من قديم الزمان ولم يبق سوى آثارها . والاراضي حول شبرا خصبة زاهرة تتخللها غابات النخيل . ومررنا في طريقنا على بساتين ورياض غناء من الاشجار المثمرة والبرتقال . وهناك اراض خصبة تروى من مياه الترعة او من النواعير (السواقي) تديرها الثيران . وبطا في دورانها فتم محزن كنوح الحمام . ثم اجتزنا ترعة الخليج المصري ووصلنا بعدها الى ضفة رملية قاحلة اشرفنا منها على جبل المقطم وظهرت لنا قباب قبور الخلفاء حيث دفن اكثر ابطال الاسلام وملوكهم كابن طولون وبيبرس والملك العادل . وبعد مسير ساعة وصلنا الى ناحية عين شمس وهناك آثار السد القديم وكان قبلاً سداً متيناً عالياً اقيم حول هذه المدينة ليقي عاصمة الفراعنة وهيا كل معبوداتها من مياه الفيضان ومن عواصف رمال الصحراء الشرقية . ولم يبق الآن من هذه المدينة العظمى حجر على حجر سوى تلال وآكام وحفر واما مسلاتها والمسلة هي كلها التي كانت تعد بالمئات فلم يبق منها سوى مسلة واحدة في وسط غابة . فاقبل نحوها وقسمت لي بعض الثمار وازهار ثم جلست استريح على قاعدة المسلة افكر فيما كانت عليه هذه المدينة من الحضارة والعظمة والهياكل والابنية الفخمة كما وصفها سترابون وهيرودتس وغيرهما من مؤرخي اليونان وقالوا انها معهد العلوم في الشرق . وكان حول هيكل الشمس مئات من المسلات بين كل مسلة واخرى تمثال ابي الهول (سفنكس) لم يبق منها الى اواسط القرن الماضي سوى سفنكس واحد وثلاث مسلات نقل منها اثنتان الى الغرب . ورأيت على دهشة بي حشرماً من النحل وكره في نقرة عالية من المسلة ملأها عسلاً . وهنا ذكر السائح نقلاً عن الكتب والتقاليد القبطية التجاء العائلة المقدسة الى هذه المدينة عند مجيئها الى مصر وان احد سكانها اضافها عنده وهو اللص الذي صلب على اليمين) . وعلى بعد قليل من المسلة بلدة المطرية حيث العين والشجرة المشهورتان للعذراء مريم وهذه

العين تنبع من الارض بين حجرين وقيل انها النبع الوحيد الموجود في البلاد المصرية . واما الشجرة التي قيل ان العذراء جلست تحتها تستريح من وعثاء السفر مع طفلها ورجلها فهي شجرة جميز ولا اظن ان عمرها يبلغ اكثر من خمسماية او ستماية سنة ولكن من الممكن ان تكون فرعاً او فسيلة من الشجرة القديمة التي كانت على عهد المسيح . وهذه الشجرة لها حرمة واكرام عند جميع المسيحيين على اختلاف نحلهم

رجعت من المطرية ومررت على آثار ترعة ادريان في الرمال وهناك طريق العربات بين القاهرة والسويس وبعد ان مررنا مسافة قليلة وصلنا الى ارض رملية حجرية (بين محطة الزيتون والمطرية الآن) تخللها اشجار البلسم والطلحب والعوسج والنباتات الفطرية والشوكية واروماث غليظة جداً هائلة الكبر هي بقايا نخلات قديمة وهذه هي الغابة المتحجرة . وقد اجتذب نظري رجم كبيرة من الحجارة الرملية المتكلسة اذا فتت واحد منها ترى داخلهُ مملوءاً من القوقع والمحار والاصداف التي لا توجد عادةً الاَّ على شواطىء البحر الملح . واغرب من ذلك انك تجد على بعض الحجارة او الحصى (الزلط) رسم اثمار واسماك ودوبيات وعروق واغصان اشجار متحجرة . فمتى كان هذا التحجر ؟ وهل كانت اراضي بلاد الدلتا مغمورة بمياه البحر المتوسط في العصور الخالية كما يذهب اليهِ بعض العلماء والمؤرخين ثم تغلب عليها طمي النيل شيئاً فشيئاً الى ان رجع البحر الى حدودهِ المعروفة الآن ؟ وكم من ملايين السنين مضت على هذا النشوء او التحول الحجري ؟ قال العلماء المعتقدون بالوحي ان وجود بعض رواميز الاصداف والاسماك والنباتات المتحجرة في اعالي الجبال وعلى بعد مئات من الاميال من البحر لدليل حسي على حقيقة حدوث الطوفان العام الذي طغى على وجه الارض واغرق المسكونة كلها كما جاء في التوراة . ولكن فاتهم امر جوهري وهو انهم يحددون تاريخ حدوث الطوفان فيجعلونهُ نحو ستة آلاف سنة وهذا التحول الحجري لا يمكن ان يتم باقل من ستة ملايين سنة فما هي الحقيقة ؟

السفر الى دمياط

ركبنا عصاري ذلك اليوم في الذهبية فسارت بريح موافقة حتى وصلنا الى بطن البقرة حيث النقطة السفلى لزاوية الدلتا . ثم غابت عنا رؤوس الاهرام واظلم الافق . وكان مسيرنا في الفرع الشرقي اي على مجرى النيل الاصلي الذي يصب في دمياط وعلى ضفتي هذا الفرع اراضٍ خصبة ومروج زاهرة وبلاد عامرة . فاجتزنا بلدة « شلقانية » المبنية على اثار مدينة مركاسورم القديمة ثم مررنا ببلدة دجوى وكانت منذ عهد قريب مركزاً او وكراً لعصابة لصوص النيل

يترصدون مرور كل مركب ليلاً ويتجمعون حوله ويختطفون ما تصل اليه ايديهم من البضائع والاموال ثم يختفون في الجزائر التي كانت مرساة على خرائب اتريب القديمة قرب دمياط . وفي اليوم التالي رسونا عند بلدة سبيت غمر وهي كثيرة العمران والسكان وجامعها قديم جداً ماذنته مربعة الشكل كان قديماً كنيسة مسيحية قبل الفتح الاسلامي . واجتزنا بلدة ابو صير وهي بوزيرس القديمة ثم مشرود الجنبية على آثار مدينة سبانيتوس القديمة . وعلى مقربة من هذه البلدة آثار او خرائب هيكل مصري عظيم كثير القدم كان للعبودة ايزيس مبني على اعمدة كثيرة فوق كل عمود تاج مزخرف بالنقوش البديعة تمثل رؤوس نساء بارزة . وقد دك الاهالي اكثر هذه الاعمدة وقطعوها وصقلوها حجارة للطواحين

ورسونا في مساء اليوم الثالث امام مدينة المنصورة وقد اسفت جداً لاني لم اتمكن من التفرج على معامل تفريخ البيض المشهورة في هذه البلدة وعلى بيت ابن لقمان حيث اسر الملك لويس التاسع . ولما صحونا عند الصباح من النوم فوجئنا بنبأ مزعج ذلك اننا رأينا العلم الاصفر مرفوعاً فوق مركز الصحة وقيل لنا ان اكثر بلاد الدلتا الى دمياط موبوءة بالطاعون . فلم نتمكن من الدخول الى البلد لابتياع ما يلزمنا من مؤونة وغذاء وقد فرغ ما كان عندنا منها فواصلنا سيرنا الى بلدة فارسكور وهناك ظهرت لما اعيننا بجاني العمران والخصب والمناظر الخلابة الجميلة من المروج المخضبة وغابات النخيل الزمردية . ثم دخلنا في خليج مدينة دمياط وظهرت امامنا ابنيتها العامرة كدائرة حول الرصيف وهي على الطرز الايطالي مكللة واجهاتها وسطوحها بقصارى الزهور والرياحين . و مدخل دمياط على هذا الوصف يشبه مدخل البندقية

فرسا بنا المركب في الميناء الكبير امام بناية عظيمة عالية الجدران يخفق فوقها علم الحكومة الفرنسوية ولم يسمح لنا بالدخول الى المدينة الا صباحاً بعد ان يزورنا طبيب الكرنتينا وكان العلم الاصفر مرفوعاً فوقنا دلالة على ان المدينة موبوءة بالطاعون . فقضينا الليلة في الذهبية وعند الصباح رفعت العلم الفرنسوي فوق ساري مؤخرتها وقد اجأتني الضرورة لاعلان جنسيتي قبل ان يزورنا رجال الصحة . وبعد ساعة اطل علينا من الشاطىء قواس قنصلية فرنسا وقال لي ان القنصل لما رأى العلم الفرنسوي على المركب ارسله لينظر من القادم ويعرض عليه ما يريد من الخدمة والمساعدة . فعرفته بنفسي وقلت له اني قادم من مصر ومسافر الى سوريا ومعي كتاب توصية من قنصل جنرال فرنسا الى قنصل دمياط واريد ان اقابله واسلم الكتاب اليه بيدي . فغاب القواس هنيهة ثم رجع ودعاني ان اذهب معه لمقابلة

القنصل . فلم يتيسر احد من رجال الحفظ والصحة على معارضة قواس القنصل لخروجه من المركب . واتبعته وارصافي ان لا امس احداً في الطريق بل ان يرجع احداً يلقاني وكان يسير امامي وهو يشير الالباني وغداراته في وسطه يقرع بعصاه الفضية المتوجة بشعار ذهبية على البلاط قرعاً عنيفاً متواصلاً ليبعد عن طريق الناس والغلمان الذين ازدحموا ليتفرجوا عليّ . وكانت القنصلية على مقربة من الرصيف فدخلنا فيها واذا هي بناية كبيرة واسعة عالية كثيرة المداخل يقال لها «وكالة» (١) وفي اعلاها مسكن قنصل فرنسا ويدعى م. سرور وهو سوري الاصل ومن كبار تجار الارز في دمياط فاصعدني القواس الى مجلس فرش بالفرش الرباش وفي صدره رجل جالس وهو بثياب شرقية فقال لي القواس هذا هو القنصل . فحنيت رأسي احتراماً واخرجت من جيبي كتاب التوصية وقدمته لاصبهُ اليه فرفع يده نحوي وقال لي بلهجة يشوبها الافتخار «أمريتا» اي توقف فعلمت ان الرجل يأبى ان يمسني لانهُ من حين ظهور الطاعون في دمياط انزوى في بيته لعدم الاختلاط باحد كانهُ في حجر صحي ثم خرج من باب ورجع وهو حامل ملقطاً والتقط بهِ الكتاب من يدي ومزق غلافهُ بسكين واخرج الرسالة بالملقط وقرأها بيدهِ ان يسعها كاتبي مصاب بالطاعون مع انهُ آتٍ من بلاد سليمة . ولما عرف من انا وما هي منزلتي بين قومي خفف شيئاً من حذره وعبوسته الاولى ورحب بي واشار اليّ ان اغتسل ودعاني للجلوس معهُ على مائدته اغتداء

ثم دعا كاتب سره او ترجمانهُ (قونشلير) ليكون ترجماناً بيني وبينهُ لانهُ لا يحسن كثيراً التكلم باللغة الفرنسوية واظهر لي صريحاً ان دعوتهُ لي لتغداء داخلة ضمن حدود اكرامنا فلا امس شيئاً الا ما يقدم لي الخادم . وحينئذٍ تذكرت رفقائي رئيس المركب وبحريتهُ وقد فرغت المؤونة من عندهم وحجر عليهم فلا يقدرون ان يتغذوا باحد فرجوت من القنصل ان يرسل لهم شيئاً من القوت فعمل وامر ان يقدم لهم الخبز والدجاج واللحم بواسطة القواس فشكرت القنصل على لطفهِ وكرمهِ والشرقيون معروفون بالكرم وحسن الضيافة . ثم ذكرت لهُ جاريتي زينب وطلبت احضارها الى القنصلية فحضرت مع القواس وما مثلت امامهُ حدق فيها كثيراً فرأى ما هي عليهِ من غضاضة الصبا والجمال الجاوي فقطب حاجبيهِ والتفت نحوي وسألني وهل انت مزمع ان تأخذ هذه المرأة معك الى فرنسا . قلت اذا شاءت ان ترافقني الى وطني فلا سبيل لي الى منعها . قال ولكن الا تعلم انها اذا وطئت الاراضي الفرنسوية فتكون حرة . قلت اني اعتبرها حرة منذ الآن . قال اولا تعلم انها اذا

(١) لم تزل هذه الوكالة باقية الى الآن الا ان معظم غرائب متهدمة وهي ملك اسرة سرور

سمعت الاقاصيص في فرنسا وزادت الرجوع الى مصر فانك مضطر لتسفيرها على نفقتك. قلت اعلم ذلك. قال اني اشير عليك يا سيدي نرفان ان تبيعها حالما تصل مالح جوان في البلاد برًّا وبحرًا ويشق عليك ان تصحب امرأة مثل هذه في اسفارك. قلت وكيف ابيعها في بلد موبوء بالطاعون فان ذلك منتهى القساوة. قال انت وشأنك اذاً. وغلب على ظني ان القنصل كان يقصد من ذلك ان يشتريها مني بثمن بخس ويجعلها خادمة في منزله. ثم ذكرت لهُ بواسطة الترجمان ما حدث لي في القاهرة من امر المكتبي والزواج وكيف اضطررت لشترى الجارية فتبسم ضاحكاً

ثم انتقلنا بعد ذلك الى قاعة الاكل وكان في وسطها مائدة كبيرة مستديرة وعليها الاطباق وحولها الكراسي فاشار اليَّ القنصل بالجلوس على كرسي منفرد وجلس بازائي في الطرف الاخر وعلى يمينهِ القونسلير وعلى يسارهِ ابنهُ وهو غلام صغير في السابعة من عمرهِ. واما القواس فوقف بيننا كعاجز. وكنت اوَّمل ان يدعو زينب لتشاركنا في الغداء. وكانت متربعة على حصير عند مدخل باب الحريم فربما ظنت هذه الساذجة المسكينة اني احضرتها عند القنصل لكي ابيعها. وكان الخادم يقدم لنا الطعام على الطريقة الاوربية الاَّ انهُ كان يضع امامي صحافاً خصوصية لئلا اشترك مع الباقين في الصحفة العمومية منعاً للاختلاط. ثم بدأ الحديث بيننا فذكرت للقنصل بعمل رحلتي منذ خرجت من فرنسا وسياحتي في سويسرا والمانيا والنمسا وما لاقيتهُ من الحوادث النادرة في فينا والبندقية وبلاد اليونان وانتقالي من سيرا الى الاسكندرية واقامتي في القاهرة. وذكر لي انهُ ولد في سوريا وهو من الطائفة الكاثوليكية وانهُ يتاجر بين دمياط والشواطئ السورية بالارز والحبوب وغيرها [1]. واعتذر مني لعدم اشتراك زوجتهِ معنا في الاكل لان ذلك مخالف

(١) علمت بعد البحث الدقيق من بعض الاسر الدمياطية ان قنصل فرنسا الذي ذكرهُ هنا السانيو هو مخائيل ان جرجس سرور. واسرة سرور كانت في دمياط ذات وجاهة نشأت في دمشق الشام وهاجرت الى دمياط قبل عهد محمد علي باشا واكثر اعضائها كانوا قناصل لدول. وقد عثرت على نشرة من ادوار التاريخ القديم في الشرق طبعت في جنيف سنة ١٨٧١ جاء فيها تحت عنوان القناصل في الشرق ما يأتي لا انكاديمي مسئل سرور. قنصل ايرلايات الخط الالماني الشمالية في دمياط وعضو وسام من ملكة اسبانيا ايزابلا الكاثوليكية ولد سنة ١٧٩٧ وهو ابن حنا سرور المشرقي الوجيه قنصل انكلترا واسبانيا بدمياط وبعد وفاة ابيهِ سنة ١٨١٤ شغل الوظائف والرتب التي كانت لهُ وهو في السادسة عشرة من عمرهِ وكان متضلعاً من لغات كثيرة. وفي عام ١٨٣٦ اسندت اليهِ وظيفة قنصل مروسيا ومنح الوسام المذهبي من الملكة ايزابلا الكاثوليكية. وفي سنة ١٨٦١ عين قنصلاً للولايات الالمانية الشمالية بامر مدت مروسيا وهو ذو وجاهة كبيرة وبيده مفاتيح للشيوخ والفقراء بكرم شرقي ومقرب من سمو محمد علي باشا وصديق حميم لسمو فخامة ابرهيم باشا الذي بنى بهِ كثيراً وبكفالة قضاء الشعالة كلها »

للعوائد الشرقية ولكنهُ سيدعوها لتقابلني ويعرفني بها . ثم لم يمض الاَّ القليل حتى دخلت سيدة جميلة الخلقة في الثلاثين من عمرها رشيقة القوام كانت تخطو على مهل بخيلاء وتدلال . فجلست على مقعد عالٍ ذي وسائد من القطيفة (فرتيل) بعد ان حيت رأسها امامي مرحبة بي فوقفت احترامًا لها وكان شعرها الجميل مقرودًا على رأسها وعلى كتفيها شال اصفر من الكشمير الحريري الغالي الثمن مشبوك بحلية كبيرة ذهبية مرصعة بالماس وعلى شعرها وزنديها حلى مرصعة بالحجارة الكريمة تسطع بهاء وكانت مكحلة العينين مزججة الحواجب على الطرز الشرقي فكانت على هذا الشكل وهي جالسة على المقعد الحريري المرتفع كأنها ملكة او عذراء رافائيل . وفي اثناء الطعام وجد القنصل نظر زوجته الى الجارية فكلمتها وسألتها بعض اسئلة لم افهم معناها . ثم امرت الخادم ان يأتيها بالطعام فاحضر لها سفرة صغيرة مستديرة ووضعها امامها فاكلت

وبعد الغداء خرجت لاتفرج على المدينة وتكرم القونسلير برافقتي فلم اجد فيها ما يستحق الذكر سوى الابنية المرصوصة حول رصيف الميا وهي على شكل قوس (امفيثياتر) بعضها فوق بعض وكان القواس يسير امامنا ويبعد عنا الناس بعصاه الفضية . ورأينا قبة ولي مشهور لها حرمة عند الاهالي رخصوصًا عند البحارة المسلمين وزرنا كنيسة شرقية قديمة مبنية على الطرز البيزنطي من عهد الصليبيين . وعند باب المدينة تل او اكمة مسوَّرة بباب مقفل على الدوام وربما كانت جزءًا من السور القديم ويقال انها مدفن عظام جنود القديس لويس الذين قتلوا تحت اسوار دمياط

وفي تلك الليلة رجعت الى الذهبية ونمت فيها وفي الصباح حضر اليَّ القواس وقال لي ان مركبًا يونانيًا يدعى « آجيا برباره » سيقلع في مساء اليوم التالي من آخر بوغاز دمياط (رأس البر) وهو سائر الى سوريا وان استعد للسفر فيه . وان مركبًا للقنصل مشحونًا ارزًا سينقلني مع جاريتي وامتعتي في البوغاز الى هذا المركب اليوناني الراسي في عرض البحر . فسررت جدًّا من هذا النبإ غير المنتظر

ديتري تقولا

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يجب ان البيت معرفة من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والرياضة وغير ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

المرأة الفرنسوية والحرب

رأينا في السينماتوغراف امير كان فصلاً شائقاً بهذا العنوان من قلم احد مشاهير الكتاب قال فيه ما خلاصتهُ :

ان تلبية النساء الاوربيات لداعي الحرب باتت امراً شائعاً عاماً حتى انهُ البلاد المحايدة ولم تعد تحفل به كثيراً . وقد تحررت به المرأة من تقاليد القرون الماضية التي كانت تقضي عليها بالوقوف مكتوفة اليدين ترى الحوادث تجري امامها ولا تمدُّ اليها يداً

فقد جاءت الانباء من باريس بوجهٍ خاص ان الامهات والاخوات والخليلات والخليلات اتين زرافات الى المعامل واماكن الاعمال الوضيعة وحللن محل الرجال فيها ليتفرغ هؤلاء لحمل السلاح والدفاع عن الوطن تحت راية الجمهورية

وبعد ان اشار الكاتب الى عشر صور نشرت مع مقالتهِ وهي تمثل النساء في اعمالهن المختلفة قال ان النساء في معامل الميرة والذخيرة يصنعن كل شيء من قوالب القنابل الى الكبسول والتفجير . وقد دلت التجارب ان ايديهن التي سودها البارود وخبث المعادن تستطيع معالجة الخيل وادارة الادوات المختلفة كما تستطيع معالجة الاعمال الدقيقة التي تقتضي رشاقة ولباقة واناقة . ومجيب ان هذه النساء التي تعمل في المعامل لا تبدي ابتسامة دلالة على الاهتمام بالعمل والجدّ فيهِ والطعام بان لا وقت هناك للمزاح

ومن الاعمال الوضيعة التي تشتغل نساء باريس بها نظارة الكروم وقرع الطبول اعلاناً للاوقات فيها . ومنها توليهن نظارة محطات سكك الحديد في الاقاليم والاعمال التلغرافية فيها . وفي سكك حديد باريس الممدودة في النفق تحت الارض ترى النساء واقفات عند المداخل والمخارج يراقبن تذاكر السفر بكفاءة لا تقل عن كفاءة احسن الرجال . وفي معظم المدن الفرنسوية وضعت حركات الترام والاومنيبوس وسائر المركبات العمومية في ايدي النساء فقمن بهذا العمل الشاق خير قيام لان كثيرات منهن جئن من الحقول والمزارع حيث تعودن المشقة منذ الصغر

وترسخ في العادة الفرنسوية القديمة هي ان تقوم النساء بالاعمال الرجال في الحقول عند الاقتضاء حتى اصبح منظر الايدي العاملة فيها منهن دون الرجال . فترى الفراش يغزر في التربة تحت ايديهن اللطيفة الى حد ما كان يغزر تحت ايدي الرجال الباسلة الخشنة . وليست قطعة الحجل في ايديهن ولا خشبة الحصد بأخف وقعاً في الاذان منها في ايدي الرجال وتراهن يجمعن الاعشاب ويحزمنها حزماً وينقلنها الى العربات والعلف سائر ما شابه هذه الاعمال من متعلقات الحقول

وقد حللن محل الرجال كلهم تقريباً في الاشغال الكتابية المتعددة في اماكن التجارة وفي كثير من الدوائر البلدية . فهن يغسلن الشوارع ويجبن الخبز ويسقين الخيل ويحفرن في المناجم ويمنين بالمرضى والجرحى . وليس ثمة عمل يعمله الرجال الا ويعمله بمثل كفاءتهم ما خلا اعمال الحرب

فهذا المثل العالي منهن يدل على عزم فرنسا عزماً اكيداً ان لا تتكب القتال او تنتهي الحرب على شكل يجعل تجددها في الاستقبال امراً بعيد الاحتمال . فقد ذاعت في فرنسا منذ سنة حكاية لا نخالها الا صحيحة . ومآلها انه لما قررت انكلترا الانضمام الى الحلفاء عرضت المانيا على فرنسا رد الزاس ولورين بشرط ان تتعهد لالمانيا بعدم دخول الحرب وتعطي ضماناً بذلك . وفي هذا العرض ما فيه من تشويق فرنسا واغرائها ولاسيما ان تينك الولايتين اقتطعتا في حرب السبعين من لحمها الحي فجرحها لم يندمل بل لا يزال نغاراً وان التأم فليغر ثانية

وان الجرح يتقرب بعد حين اذا كان البناء على فساد

قالوا : وبدت علامات التردد من الحرب على اولي الامر عمداً بما في تلبية طلب المانيا من حقن الدماء واقتصاد الاموال ولكنهم عرضوا الامر على الامة الفرنسوية رسمياً لانه من حقها وخصوصاً النساء منها ان تبدي صوتها في المسألة . فكان الجواب ما يأتي :

« اننا نرفض ما عرضت المانيا . نعم اننا نريد ولايتي الزاس ولورين ولكننا لا نحارب من اجلهما فقط بل نحارب من اجل اولادنا واولاد اولادنا لنبطل الحرب الى الابد . فاذا كان لا بد لنا من فقد ابنائنا وازواجنا وآبائنا واخوتنا واصحابنا فليكن ذلك ولكن لا مناص لنا من الحرب الى النهاية مهما كلفنا ذلك ولو آل الامر الى فنائنا القومي »

فهذه الحكاية قد تكون صحيحة وقد لا تكون ولكن وجود هذه الروح ظاهر كل الظهور فلا بدع اذا رأينا النساء ينضوين الى راية الوطن على مثل ما وصفنا من الغيرة والغيرية والتضحية

وقد صدر مؤخراً امر من السينتك اميركا بعدا المكان بتعليق قال فيه : ان حركة اشتراك نساء فرنسا بمعالم الامم المتحاربة في هذه الحرب وحلولهن محل الرجال في كثير من فروع الاعمال التي استأثر بها الرجل دون المرأة وجهاً غير الوجه الذي يمس القلب والعواطف وهو وجه تعديل مسئلة العمل بعد الحرب بعد الذي ظهر من كفاءة النساء في كثير من فروع الاعمال التي استأثر بها الرجل دون المرأة . وهذه المسئلة من الشان بمكان عظيم ولاسيما بعد ما شاع وذاع ان النساء سيبقين بعد انقضاء الحرب في بعض فروع الاعمال التي يتولينها الآن

ابادة البعوض

معلوم من تجارب روس وغيره من المشاهير ان البترول او زيت الكاز خير الطرق لابادة البعوض (الناموس) . ويراعى في هذه الطريقة امران سرعة انتشار الزيت على وجه البركة التي يراد ابادة عُوَّم البعوض منها وعدم تبخره بسرعة . وقد وجد بالتجربة ان اوقية من الكيروزين (البترول الخام) كافية لتغطية ١٥ قدماً مربعة من سطح الماء . واذا كانت البركة غير معرضة لتيارات الهواء بقي الزيت يغطي وجهها عشرة ايام . ومزية الكيروزين على الزيت الصرف في بطء تبخره

ويلزم الانتباه الى كل بقعة من الماء اذا كان توجد حول المنازل ولاسيما اذا لم تكن في مهب الريح فانها مهادة للبعوض يبيض فيها ويتوالد بسرعة مدهشة . اما البقع المعرضة للريح فلا يستطيع البعوض ان يبيض فيها

وقد اكتشفت الحكومة الاميركية وهي تحارب البعوض في تروة بناما مزيجاً فعالاً لابادته فاستعملت منهُ مقادير عظيمة . وهو مركب من الحامض الكربوليك والراتينج والصودا الكاوية . وغني عن البيان انهُ حيثما يمكن ردم البرك والبحيرات والمستنقعات التي تركد المياه فيها فلا حاجة الى استعمال البترول او غيره

السمن والنحافة

بينما نرى البعض لا هم لهم الا معالجة سمنهم قصد ازالته نرى البعض الآخر وهم الاعظم يعالجة نحافتهم للحصول على السمن الذي يغرمهُ غيرهم . وقد يلجأ الفريقان عن سلامة طوية الى الاعلانات الكثيرة التي تشير لمعالجة هذا وذاك فلا ينتفعون شيئاً غير

انفاق المال اذ لا مشاحة في ان السمن والبطانة يتبعان الامزجة فاصحاب الامزجة العصبية لا يسمنون ولو حقنوا ابدانهم بالدهن واصحاب الامزجة الدموية البلغمية يرون على الغالب سمانًا . كذلك من الاجسام ما يكتسب السمن بعد بلوغ حدٍّ محدود من العمر . وكثيراً ما يسمن الناس في الشرق عند مجاوزة الثلاثين . ثم ان للغدة دخلاً كبيراً في المسئلة فان كلّ ما يخلّ بالجهاز الهضمي يمنع التغذية التامة وبالتالي تجمُّع الدهن في الجسم . وعليه فاصحاب الامراض المعدية قلما يسمنون واذا سمنوا فان سمنهم ورمٌ

على اننا مع هذا كله لا ننسى ان الاقلال من اكل المواد النشوية والسكرية وتناول الحوامض وكثرة الرياضة وقلة النوم تزيل السمن او تخففهُ كما اننا لا ننسى ان الالتجاء اليها قد يكون سبب ضرر للجسم . فيجب مشاورة الطبيب في ذلك مع العلم بان كثرة شرب المسكر وكثرة الاكل وتعدد اوقات الطعام وغيرها من عادات المعيشة الاجتماعية الحالية تفضي الى السمن وتقريب الصحة في وقت معاً

فضل كستبان المرأة

للكستبان الذي يسمى في الشام كشتبانًا وقعًا فضل في باب الاكتشاف والاختراع فان مردوك مكتشف الانارة بالغاز كان يشعل الغاز ذات يوم من انبوبة فاراد اطفاءهُ فتناول قمع امرأته مسرعاً ووضعهُ على فوهة الانبوبة فانطفأ القمع ولكن الغرفة امتلأت من رائحة الغاز فادنى لهباً من القمع فاشتعل الغاز لان القمع كان كثير الثقوب . ولكن ظهر لمردوك ان النور المنبثق من الثقوب أمع من نور الغاز المشتعل على طرف الانبوبة . وبناء على هذا الاكتشاف عمل المصباح المعروف باسم «كوكبر» وعلى مثاله تصنع المصابيح الغازية المتداولة

العصفور الدُّوري

لما حرّم في هذا القطر صيد العصفور السمين المعروف باسم «بكافيجا» جعل الصيادون يكثرون من صيد العصفور الدوري و يبيعونهُ فيلقون اقبالاً كثيراً او قليلاً تبعاً لاختلاف الذوق والعادة . والدوري كثير الخير (اللحم الاحمر) قليل الدهن وطعم خيره كطعم الخير في الذ الطيور طعماً وربما فاق البكافيجا في ان لحم هذا اطيب ما يكون مشوياً ولكنهُ اذا شوي ذاب دهنهُ وهو الاكثر فلا يبقى منهُ الا العظم والخير وهو الاقل

وفي اوربا واميركا نوع من الدوري يسمى في اميركا الدوري الانكليزي وفي انكلترا دوري البيرت للازمتو اياها كما يسمى عندنا بالدوري لمثل ذلك . وقد سنت وزارة الزراعة الاميركية قانوناً اشارت فيه بابادة الدوري الانكليزي بدعوى انهُ « صحّاب قذر كثير الشقاق والخراب » . وقالت احدى الصحف الاميركية فيهِ « ان عصافير الثناء لن تعود الى حدائقنا حتى يبرحها الدوري » وعليهِ قاموا يجدّون في صيدهِ ويخترعون الشراك لاقتناصهِ . وقالت الجريدة المشار اليها في حض القوم على صيدهِ : وليس ثمة ما يمنع اتخاذنا العصفور الدوري طعاماً لنا كما يصنع اهل اوربا منذ عدة قرون . فان لحمهُ لذيذ المذاق وكثرة عددهِ تعوضنا من صغر جسمهِ . ومنذ سنة منع احد ولاتنا وليمة لبعض اصحابهِ وكان اخر الالوان التي قدمت اليهم فطير صنع من الدوري فاكلوا مريئاً وهم يظنون انهم يأكلون لحم زغاليل « البوبولنك » (من اخر الطيور الاميركية) ولم يعلم بسرّ هذهِ الجفنة الانيقة الاّ بعد انتهاء المأدبة »

غليسرين الخيار

قد يكون الخيار على شدة ولع الشرقيين بهِ كبير الضرر فانهُ عسر الهضم غالباً جالب للحميات ناقل للعدوى ومع ذلك تراهُ تتوفّر ظهورهُ كل عام بذاهب الصيف . ولو حُسب بقلة كما هو في الحقيقة لوجب طيجهُ كسائر البقول قبل اكلهِ ولكننا نحبهُ فاكهة فنأكلهُ بلا طيخ كما نأكل العنب والتفاح . اما الغربيون فقلما يتناولون شيئاً من البقول نيئاً واذا ارادوا عمل سلاطة منها غسلوها بالماء الغالي لقتل الميكروبات التي قد تكون عالقة بها . وقد ذهب الغلو ببعضهم ان لا يأكل الفاكهة الاّ مطبوخة

على ان للخيار حسنة لا تنكر وهي انهم يستخلصون منهُ مرهماً يسمونهُ مرهم الخيار ومنهُ يصنعون دهاناً عطريًّا يسمونهُ غليسرين الخيار وهو مركب من احد اصناف الصابون النقي ومرهم الخيار وماء الورد والغليسرين المأدي على نسبة ½ اوقية من الاول واوقية من الثاني و ٣٠ اوقية من الثالث واوقيتين من الرابع

ذبح الدجاج بلا ألم

اذا شئت تخفيف ألم الدجاجة عند ذبحها فاربطها برجليها وعلقها بمسمار ثم امسك بيدك اليسرى رأسها حيث يتصل بعنقها لتفتح فاها فمدّ سكينا حادة الى داخل حلقها واقطع حبلها الوريدي بوخزة فينزف دمها بلا ألم

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحاداً ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتحديداً للاذهان ولكن النهية في ما يدرج فيه على احتمايه فنحن براء منه كله ولا ندرج ما خرج عن موضوع المتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والمظهر مختلفان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تُختار على المطوّلة

عظة الدهر لابناء العصر

لا تظلم الدهر مهما جار او عدلا ... فني مدار القضا يجري القضا سُبُلا
والحي في ملتقى الاهوال تقذفهُ ... يد الزمان فلا يلقى لهُ حِوَلا
من لم يطأطئ لدى الاهوال هامتهُ ... يظلّ في ملتقى الاهوال معتقلا
وللمقادير في مجرى الامور قوًى ... تقوى على ان تدكّ السهل والجبلا
في كفها تحمل الافلاك سائرةً ... فلا تضل السرى معها سرت عجلا
ان الليالي اذا جنّت تراجع ما ... مضى نهاراً وتروي الحادث الجللا
توّرق الطفل في مهد الرضاع فان ... يمسي الوليد وشعر الرأس منظرهُ
يبدو لناظره كالليل مكتهلا
(ما بين غمضة عين وانتباهتها) ... يغلّ بالشيب شعر الراس مشتعلا
والناس ما بين غرّ مسّهُ خَبَل ... وبين حرّ يرى التمويه مبتذلا
يغالب الدهر بالحيني فيغلبهُ ... لدى النزال جباناً كان او بطلا
والحر يرجو اذا ما عاش يذكرهُ ... حيٌّ وان مات يبقى الذكر منتقلا
والخلق ما بين مفتون ومعتدل ... يرضى العدالة فيما قال او فعلا
لله ما شاء في تدبيره حكم ... لا يدرك العقل من اسبابها علا
فالسعود فريق لا يضل ولو ... شاء الضلال لضل القصد واعتدلا
والنحوس فريق لو يساق الى ... حسن السبيل لما الفى لهُ سبلا
وما السعادة ان تسدي الامور الى ... من ليس يحسنها قولاً ولا عملا

وانما تحسن الارزاق بدركها ... موفّق جدّ في الاسباب واتكلا
والدهر كالصلّ ان فاوضت ثورته ... أبدى لك الاذى ثم انقض مقتتلا
دعهُ اذا ما قسا ولان غير شجٍ ... ليقضي الله امراً شاءهُ ازلا
والدهر عاجلهُ ماضٍ وآجلهُ ... كالظل اطول ما يبدو اذا افلا
فاصبر على ما تلاقي مدة ان لهُ ... حالاً تمرُّ وحالاً تشبه العسلا
وسالم الدهر والايام متقياً ... من الاذى ما يسيء الحال والاملا
وأرض الضمير وما يرجى اليك به ... ان كان قلبك بالاحسان مشتغلا
فمن عيوب الورى ان يستبدّ فتى ... بالامر لا ناقة يرجو ولا جملا
يكفي الاجير من الدنيا نزاهتهُ ... وهي الشفيع لدى من يفهم الرجلا
فللقلوب وان دقّاتها خفيت ... عن العيون فعال تهدم الجبلا
وللتكبرب سر من تواضعهِ ... مع الوجود يدوم الجذب متصلا
وللكواكب من حسن الادارة ما ... يكون للمرء في اعماله مثلا
كأنما الناس في ماضي الحياة لنا ... دور فتشهدهُ الاجيال والدولا
فليحسن المرء في التمثيل آيتهُ ... كي يشهد العلم من لم يشهد العملا
ولا يشد يداً ان طوقت عنقاً ... قالين اولى بمن يقسو اذا عقلا
ومن يول رقاب الناس راق لهُ ... ذكر يطيب اذا ما ظلهُ رحلا
ومن يراقب صروف الدهر شاهدها ... لا يقبل العد تنصيلاً ولا جملا
وشيمة الوغد كالطبلي يحار لدى ... محولها الرأي حتى تنتهي حيلا
تخال ظاهرهُ الحسنى وباطنهُ ... كرجل اججت احشاؤهُ فغلا
يأتي عبوساً ويدنو باسماً ويرى ... ظي ابتساماته ما لو بدا قتلا
يحتال بالناس للابقاع في شرك ... من الشباك كمن يستدرج الحجلا
كم غادر يقسم الايمان مدعياً ... صدق الاخاء ويحوي قلبهُ دغلا
يرضى عن العيب ان حابى ويغضب ان ... جافى كأن اساس العدل ما اعتدلا
ويزدري الفضل جهلاً منهُ اوحداً ... ما لم يكن راضياً عمن لهُ فعلا
وقلَّ عند ذوي الغايات منصف من ... يرضي الضمير ولو يستشهد الرسلا
فاستكثر الخير للاخرى ولو كرهَ الحسودُ واشتد يرجو دونهُ بدلا

والخير ان كان تفضيل فاحسنهُ ... ما يدفع الجوع او ما يدفع العللا
ومن رأى وجهة الاحسان قاصرةً ... على سبيل تعدى الحد وانتقلا
وللحياة تقاليد وسيف يدها ... من معجزات الاماني ما حلا وغلا
تبدو فيعدو لها العاني يمدُّ يدًا ... وحظهُ بالندى حظ السراب جلا
يبني القصور منامًا في الهوا فاذا ... ما أمَّها لا يرى قصرًا ولا طللا
ومن رزايا الورى يشقى الحياة اب ... باسم البنين ولا يشكو الشقا خجلا
يواصل الليل سعيًا بالنهار وما ... زار الكرى منهُ جفنًا او هوى مقلا
يقضي الليالي على ضيم وفي ضجر ... والابن يلهو وعن اشغاله غفلا
ومن تجافى رضا الاباء ضلَّ هدى ... واستغضب الله والاوطان والملا
والله يرضى عن الابناء ما رضيت ... آباؤهم عن سلوك طاب واعتدلا
وما مجاهدة الآباء مجدية ... نفعًا اذا الابن من حسن الخلال خلا
كم والدٍ سرَّ ان بلقى الوليد نما ... جسمًا وظن نمو العقل محتملا
فراعهُ اليأس واستلقى يعضُّ يدًا ... ويصفق الكف حزنًا صدَّع الجبلا
يا فخار لمن لا مال في يدهِ ... يقيهِ مدَّ يدٍ قد تتقي شللا
ومن محت يدهُ عن وجههِ عرقًا ... ينصبُّ من دمهِ كالدر منهملا
لا يبسط الكف تبذيرًا ليخدعهُ ... بالمدح مستغفل ان آب او قفلا
وليس يحلو التحلي بالشباب اذا ... لم يتخذ دونها ثوب الحيا حللا
وما الرقي تماثيل نكررها ... لفظًا وتفخر من تعظيمها جللا
وانما ادب في النفس شب على ... حب الفضائل فاسترعى التقى عملا
وما تغني الفتى بالنفس يطربهُ ... مثل استماع صدى اعمالهِ نقلا
والفخر بالنسب الموروث منقصة ... ما لم يكن عمل الانسان متصلا
ومن تلاعب بالايام في صغر ... لمت بهِ كبرًا واستدبرت مللا
ومن رأى ولدًا يناى بجانبهِ ... عن نصح والدهِ فليهدهِ السبلا
يلين قلبًا ويحلو منطقًا ويفي ... عهدًا ويرعى الوفا طفلاً ومكتهلا
يرعى الوليد صغيرًا كي يكون غدًا ... للوالدين يدًا تسقيهما العسلا
فمن دم الابوين التفَّ ساعدهُ ... واشتدساقًا وربى المعظم والمضلا

وما الجهاد لتقويم النفوس بغي عند امرئ يألف الاهمال والكسلا
والنجابة في وجه النجيب على تمامُ حسن خلق في خلقهِ كملا
والعقل كالشمس يلقى من اشعتهِ على الوجود شعاع النبل مختزلا
كلاهما حدق الابصار آلةُ مر صدٍ ترينا الذكا ان قل او فضلا
والطفل كالزرع قد يغو ولا ثمر يرجى لمن شاء يجني منهُ ما حملا
فلا يغرّك ان تلقاهُ في صغر عليهِ من لمحات الاذكياء طلا
ما احسن الابن يعلو ان نأى خبراً وان دنا طاول الجوزاء والحلا
يرضي الجبان اذا خارت عزائمهُ يوم الرهان يضحي النفس مختبلا
فلا ينالنَّ من الدنيا سعادتها ولا يرى سمة الاخرى اذا وصلا
شتان بين دم يجري النشاط بهِ حيًّا وبين دم عن جريهِ بطلا
كأن للدم من جري النشاط يداً تثير في الجسم ما من حسهِ خدلا
ان الغيور اذا ناديتهُ ذئباً ابى وان يُدعَ رأساً قام وارتجلا
ولا ينال المعالي من ينام عن لين الفراش ويلقى عيشهُ ذللا
فالبس رداء على قدر الوقار بهِ واجعل زكاة الردا من جسمك البالا
واعمل وانت صغير ما تضيق بهِ ذرعاً اذا جف منك العود او ذبلا
وانبذ مطاوعة الداعي الى لعب فللملاهي يشد الرحلَ من عطلا
وكن حليف حنان للدروس فما عهد الدراسة باقٍ لو بقى اجلا
وانبل بقلبك وحيًا واستمع اذناً وارع المعلم مهما اشتد او سهلا
فالمنهل العذب مهما عز موردهُ لا يثنني عنهُ عزم المرتجي املا
سارع اليهِ غلاماً كنت او رجلاً وأهد الزمان من الاعمال ما جملا
وجمّل العلم بالآداب فهي لهُ كالملح ان يخلُ منهُ الزاد ما أكلا
وما ازدياد الفتى علماً يفيد اذا لم يكتسب ادباً يجو بهِ الزللا
وحلية العلم تهذيب النفوس فان طاش امروٌ وادعاهُ عدَّ منتحلا
والعلم ان قل عند المرء يكسبهُ من الغرور ادعاه يخدع الجهلا
يأبى النصيحة كبراً وهو يجهلها ومن تمادى على فعل الخطا ثقلا
يخطو خطا الزهو والاعجاب من صلف ويرقص الكتف ان نودي وان سئلا
ورب حاتٍ يرى في موقف الشهوات خاشع الطرف من زلاتهِ وجلا

يسائل العمر عن كان يمتعهُ بالامس كالمتناسي سوء ما فعلا
والعمر من شأنهِ يتلصُ واحدة منا بواحدة حالاً ومنتقلا
ومن رأى مصعداً بعد الصعود هوى فانهُ ازمن يعلو ثم علا نزلا
فليقلل المرءُ من غلوائهِ حذرا من كبوة يتوارى خلفها خجلا
وليس يجدي وقد زلت بهِ قدم يشكو القضا ندماً او يرتجي حيلا
وطيُّ مخبأ الايام معضلة حب الحياة وان ضاقت بنا سبلا
إلام يشكو الورى والجيل يتبعهُ جيل على المهد والترتيب قد جبلا
وباطلاً زعموا ان الحياة لما صفو يدوم ويحلو كلما صقلا
وليس في الناس من يدري بدايتها ولا نهايتها مهما ادعى الجدلا
وانما آيةٌ والله مودعها في الارض مادام سرُّ الشمس متصلا
ربِّ اهدني للصراط المستقيم ولا تجعل سوى العلم للابناء متكلا

الدكتور
السيد بك رفعت

شكر وايضاح

سيدي محرر المقتطف الزاهر

اشكر لكم اهتمامكم بانتقاد عبارات جاءت في ترجمتي لكتاب « فتوح البلدان » للبلاذري فضلاً عن الاشارة اليهِ وتقريظهِ في « مقتطف » آب (اغسطس) . بيد انهُ لا يتأتى من الملاحظات الآتية

انهُ وان تبادر الى الذهن لاول وهلة ان المقصود من قول البلاذري في الصفحة الاولى « رددتُ من بعضهِ [الحديث] على بعض المقابلة والنقد — وهو ما فهمتموهُ من التعبير — الاَّ انهُ لدى مراجعة كتب اللغة تجدون ان المراد انما هو ما ذهبت اليهِ في الترجمة من معنى اللمّ والتركيب . واليكم ما جاء في « الفائق » للزمخشري جزء اول صفحة ٢٣٦ : « وردّ اولاها [الرعيّة] على أخراها . . . . اي اذا استقدمت اوائلها وتباعدت عن الاواخر لم يدعها تتفرّق ولكن يجمع المستقدمة حتى تصل اليها المتأخرة فتكون مجتمعة متلاصقة » . وفي « النهاية » لابن الاثير جزء ثان صفحة ٧٥ : « تردّد بعض خلقهِ على بعض وتداخلت

اجزاؤهُ » وصفحة ٧٦ : « وردَّ اولاد على اخراها اي اذا تقدَّمت اوائلها وتباعدت عن الاواخر لم يدعها تتفرَّق ولكن يحبس المتقدمة حتى تصل اليها المتأخرة » . والمعنى هذا هو الذي فهمهُ دد غويه على ما ذكر باللاتينية في آخر « فتوح البلدان » صفحة ٤٣

اما لفظة طوامير المرادفة لقراطيس فانهُ وان كان المعنى الشائع صحف البردي المستعملة للكتابة كما ذكرتم وكما نوَّهتُ في الحاشية الاولى على الصفحة ٣٨٣ من ترجمتي الاَّ انهُ يلوح لي ان البلاذري استعملها بمعنى « البُرُد » اي الاقمشة ولذلك ترجمتها ب Fabrics واذا راجعتم « القاموس » « وتاج العروس » تبين لكم انها تُستعمل لذلك المعنى . وهو المعنى الذي فهمهُ زيدان في كتابهِ « تاريخ التمدُّن الاسلامي جزء اول صفحة ١٠٣ » حيث قال : « والقراطيس بُرد مصرية كانوا يحملون بها الاتية والثياب » واشار اليهِ Lane في قاموسهِ المعروف تحت قرطاس حيث قال : "A kind of the fabric of Egypt" وربما كانت اللفظة (طومار) يونانية كما ذكرتم او ابيبرية كما ذكر فرنكل (Frankel) في كتابهِ "Aramäischen Fremdwörter" صفحة ٢٥١

ولا يُفهم من ردّي هذا اني اعتقد في ترجمتي الكمال فاني اشعر اني برغم كوني بذلت المجهود في البحث والتنقيب فالترجمة لم تأتِ خلواً من الضعف في بعض التعابير وما ذلك الاَّ لصعوبة المسلك وتعقيد لغة الكتاب وبُعْد عهد مؤلفهِ . واقبل في الختام فائق احترامي

جامعة كولمبيا — نيويورك فيليب حتي

[المقتطف] لو قال البلاذري « رددت بعضهُ على بعض » بغير حرف « من » كما قال الزمخشري « ردَّ اولاها على اخراها » لما خامرنا ريب في صحة ما فهمتموهُ ولكن يبعد عن الظن انهُ ادخل هذا الحرف عبثاً . ثم انهُ ينتظر ممَّن عُني بجمع الاخبار المختلفة واختصارها مع ما فيها من الاختلاف والتناقض ان يعنى ايضاً بمعارضة بعضها ببعض لتمحيصها وابقاء الراجح وترك المرجوح عند اختصارها . وتفضل ان يكون هذا مراد البلاذري على ان يكون مرادهُ مجرَّد « الم والتركيب » لان المعنى الاول احرى بمن كان مثلهُ ولو كان المراد لا يدفع الايراد . ومع ذلك فقد يكون ما فهمتموهُ هو الصواب

باب الزراعة

استغلال الارض

(١٠)

يعتمد جمهور اصحاب المزارع المتوسطة وبعض اصحاب المزارع الواسعة في فلاحة غيطانهم على عمال من اصاغر الفلاحين يأخذون بدل عملهم جزءاً من محصول الغيط الذي يفلحونهُ بأيديهم وفلاحة الارض بهذه الطريقة ( ) تخفف عن اصحاب الاطيان مؤنة دفع اجرة العمل نقدية اذ يتعسر على جمهورهم ذلك في اكثر الاوقات (٢) وفي بعض الاحوال تدعو العمال المزارعين الى الاجتهاد التام في فلاحة الارض التي سيأخذون جزءاً من غلتها . ولم اقل في اغلب الاحوال لاني رأيت في بعض من المزارع ان مزارعيها ليست عندهم هذه العاطفة اما لضعف همهم وبصيرتهم او لسوء معاملة المالك لهم او للاثنين معاً . فان المزارعين في الغالب لا يأخذون نصيبهم كله في وقت تجهيز المحصول مرة واحدة حتى تقل الفرصة لسوء الحساب بينهم وبين المالك بل انهم لفقرهم يأخذون ما يلزم لمعيشتهم قبل حلول وقت المحصول . وكثيراً ما يكون ذلك بصفة مرتب شهري اكثرهُ من الحبوب واقلهُ من النقود . فالعامل البليد يقنع بما يأخذهُ ولو كان دونما لا يكاد يسد رمقهُ والمالك الطامع يحسب عليهم ما يأخذونهُ باغلى الاثمان وقلما ينصفهم بعد ذلك ويبنى حسابهُ على انهُ اذا جاء المحصول رديئاً فلا يمكنهُ ان يسترد منهم ما كانوا اخذوهُ زيادة عن استحقاقهم . فكذلك اذا جاء المحصول حسناً لا يعطيهم اكثر مما اخذوهُ وبين هاتين الحالتين وامثالها تضيع مزية العمل بهذه الطريقة ولم أرها على انقها الا عند بعض اصحاب المزارع المتوسطة الذين يباشرون اعمالهم بانفسهم فيأبون على مزارعيهم التواني والتكاسل وعلى ذمتهم الاجحاف في محاسبتهم

اما الجزء الذي يأخذهُ المزارعون بدل عملهم فيختلف باختلاف جودة الارض ونوع المحصول فيكون الخمس او الربع في الارض الاجود والزرع الاوفر غلة او الثلث الى النصف

في الارض الاقل جودة والزرع الادنى غلة وكذلك يختلف ايضاً باختلاف بعض الظروف الاخرى كما ترى تفصيلهُ في الامثلة التالية

(مثال اول) تكون خدمة اليد جميعها من حرث وزرع وري وتسميد وعزق وضم ودراس الخ على المزارع ولهُ الخمس في القطن والقمح والرز في الذرة وليس لهُ في البرسيم شيء بل هو للمواشي التي تعمل في النيط اما المواشي العاملة في الحرث والدراس والسواقي واجرة آلة الري الخ فتكون على صاحب الاطيان واذا لزم استكراء انفار في بعض مواسم العمل كالعزيق والجني لتسهيلها فتكون الاجرة على حساب المزارع . ولهُ ان يأخذ طلباتهِ في وسط السنة من صاحب الاطيان حبوباً بالاثمان المناسبة ونقدية بدون فايظ . وربما يشترط على المزارع رعي الماشية وتنظيف زرائبها . والمزارع الذي يشتغل بهذه الصفة يسمى في العرف بالمرابع وجمعهُ (مرابعين)

(مثال ثان) المزارع عليهِ جميع الخدمة سواء كانت يدوية او بالمواشي وجميع المصاريف الاخرى من اجرة ري وثمن نقاوي الخ ولهُ خمسان وللمالك ٣ اخماس نظير الارض وليس عليهِ شيء ولكن احياناً يكون مثال المحصول ونصف اجرة الحفر عليهِ . واذا اشترك المالك مع المزارع في الخدمة متناصفة يكون للمزارع خمس واحد فقط

(مثال ثالث) في زراعة الذرة خاصة بالجهات الجنوبية العالية على المزارع جميع الخدمة اليدوية من بدء التخفير الى التخزين بما في ذلك تطهير المراوي وتخزين نصيب صاحب الارض . واحياناً يكون على المزارع خدمة مواشي المالك مدة زراعة الذرة وخدمتهُ ايضاً مدة فراغهِ من الاعمال . اما في الجهات البحرية الواطية فيكون للمزارع الثلث ولاسيما اذا كان عليهِ التقاوي فاذا كان عليهِ احضار السماد يكون لهُ النصف

(مثال رابع) في زراعة الارز خاصة على المزارع جميع الخدمة والمصاريف من اول الزراعة لآخرها بما فيهِ التقاوي والدراس ما عدا التلويط ولهُ في نظير ذلك الخمسان

(مثال خامس) في زراعة الشعير بالجهات البحرية الواطية على المزارع جميع الخدمة والمصاريف بما فيهِ التقاوي ولهُ الثلث اذا كانت الارض المزروعة باقا والاَّ فلهُ الخمسان غالباً او النصف احياناً اذا كانت الارض رديئة

(مثال سادس) في زراعة القطن خاصة بالجهات البحرية على المزارع جميع

الخدمة والمصاريف الخ ولهُ الثلث الاَّ اذا كانت الارض رديئة فيكون لهُ الخمسان واحياناً النصف

(مثال سابع) الشركة المحمولة (او فدان يخدم فداناً) استأجر زيد اطياناً بايجار معتدل فالزارع لها عليهِ عمل اليد جميعهُ والنصف في التقاوي وفي شغل المراشي واجرة الري وعليهِ نصف الايجار ولهُ نصف المحصول نظير ذلك واذا كان معتاداً دفع جانب من الايجار في الصيف حيث النقود لدى الفلاحين شحيحة فلا يلزم الزارع بدفع شيء

(مثال ثامن) زيد لهُ غيط ملك فزارعوهُ قد يشاركونهُ فيهِ بالكيفية الآتية

يحسب عليهم نصف ايجار الارض بمراعاة ان تكون قيمة الايجار اقل من قيمة المثل بنحو الربع او الثلث تقريباً ثم يقومون بمصاريف زراعتها وخدمتها بدون ان يكون على المالك شيء مطلقاً ولهم في نظير ذلك صافي نصف المحصول بعد تسديد ما يخصهم من الايجار فكأن المالك في نظير اعطائهم نصيبهم في الارض بايجار اقل من المثل يكون استفاد منهم خدمتهم لهُ في النصف الآخر . وفي هذا المثال قد يلزم المالك بنصف اجرة جني القطن خاصة ونصف اجرة الحفر ايضاً

(مثال تاسع) في زراعة الذرة الشامي في ارض المالك بالصعيد على المزارع جميع اجراآت الخدمة والري الخ ولهُ الثلثان لان الري كلهُ بالآلات ويستدعي تعباً عظيماً وللمالك الثلث فقط نظير الارض

(مثال عاشر) في زراعة القصب في الصعيد خاصة على المزارع خدمة اليد فقط ولهُ السدس والباقي للمالك نظير الارض والتقاوي والمواشي وماء الري

(المثال الحادي عشر) في زراعة الذرة التي تروى بالارتوازي على المزارع خدمة اليد فقط ولهُ الخمس او السدس اذا كانت الارض جيدة جداً والباقي للمالك نظير الارض وماء الري والتقاوي والسماد الخ

وحينما تكون المزارعة او المشاركة في زرعة واحدة تقل الفرصة لصاحب الغيط الذي لا يلتزم الانصاف في معاملة مزارعيهِ . وان كان ما ذكرناهُ هنا ليس مستوعباً لكل صور المشاركة والمزارعة في جميع الجهات الاَّ ان فيهِ الكفاية لادراك طريقتها

احمد الالفي
مأمور زراعة

تجذير القمح

اكتشاف مهم في الزراعة

كان الدكتور هنري جسب المرسل الاميركي في بيروت يفتخر بانهُ وجد نبتةً من القمح فيها ٢٥ سنبلة ويريها لزوارهِ معجباً بها. اما نحن فرأينا نبتة واحدة فيها اكثر من مضاعف ذلك من السنابل. ولا نعلم ما هي الاسباب التي جعلت حبة القمح تولّد ذلك المقدار وغاية ما نعلمهُ ان الارض التي وجدت فيها جبرية فلما زرعت قبلاً وهي في مرتفع من الارض في ساحل بركة قارون

وقد قرأنا الآن في مجلة المعرفة الانكليزية مقالة وجيزة للقس ادورد سيلي قال فيها ان هذا التجذير او التكثين اي تولّد سنابل كثيرة من اصل واحد ناتج عن خاصةٍ في نبات القمح فهو يجذّر دائماً ولكن اذا حضن اكثرهُ بالتراب عند اول ظهورهِ ثم حضن ثانيةً وثالثة كلما نما كثرت جذورهُ وفروعهُ وظهر في كل فرع منها سنبلة. وقد استنبط عزاقةً تشق الارض خطوطاً ضيقة عمق الخط منها عشرة سنتمترات فقط وتزرع فيها القمح تلقيطاً كما تزرع الذرة الشامية في هذا القطر. وتطمرهُ بقليل من التراب ثم يترك حتى ينمو ويصير في كل حبة ثلاث اوراق فتمر هذه العزاقة على مساطب الخطوط فتلقي منها ترابا يحضن القمح حتى يكاد يغمرهُ فتكثر جذورهُ ويزيد نموهُ وتتولّد منهُ فروع جديدة وكلما نما اعملت العزاقة حتى يحضن ثانية وثالثة. وفي العزاقة خمسة اسلحة ويجرها حصان او حصانان ولكن يمكن الاستغناء عنها عندنا بالمزق العادي كما يعزق القطن والخضر

وقد امتحن مخترع هذه العزاقة زرع الحنطة وحضنها كذلك فوجد ان الفدان الذي يزرع تلقيطاً على هذه الصورة تكفيهِ كيلتان من اتاوي القمح واما الفدان الذي يزرع بذراً حسب الطريقة المتبعة يلزم لهُ سبع كيلات. وسنابل الفدان الاول تكون اكثر من سنابل الفدان الثاني كثيراً واطول ومحصولهُ اكثر جداً

ترى في الصورة المقابلة سنابل حبتين من القمح الجذر او المكثن حسب هذه الطريقة وما فيهما من السنابل الكثيرة الكبيرة وبينهما نبات حبة نمّا زرع حسب الطريقة العادية وليس فيها الا خمس سنابل صغيرة. وترى في الصورة التي تحتها نبتين قطعت سنابلها وقطعا من الارض حتى ظهرت جذورهما وهما من القمح الذي كثن او جذّر. فعسى ان يجرّب ذلك بعض محبي التجارب الزراعية ويوافونا بنتيجة تجاربهم

قمح مجذر قمح غير مجذر قمح مجذر

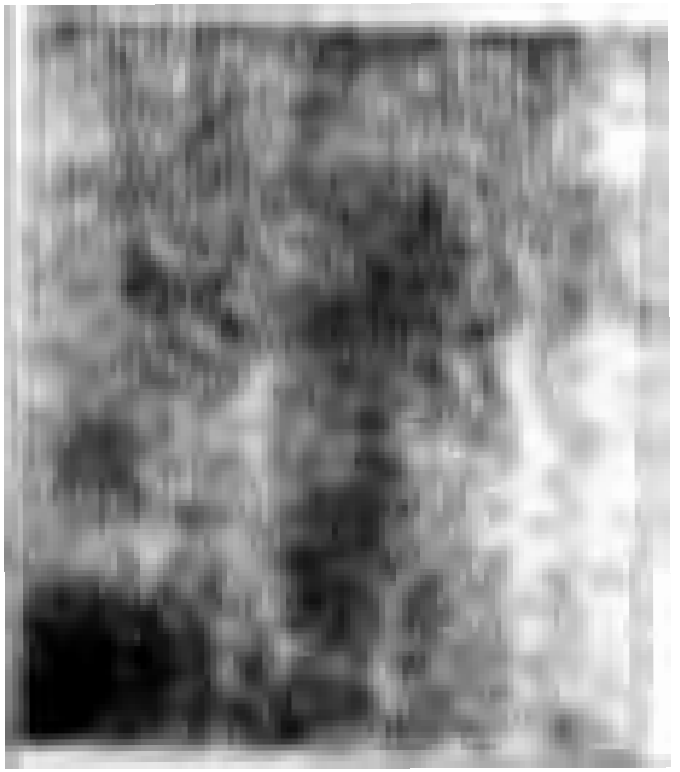

جذور القمح المجذر

مقتطف نوفمبر ١٩١٦

امام الصفحة ٥٠٠

محصول القطن المصري

جاءت الانهام فيما اصاب موسم القطن المصري هذا العام فقد نبت قوياً وساعده الحر على النمو السريع وكانت مياه الري وافرة حتى اعتقد اكثر المقدرين انهُ يزيد على سبعة ملايين قنطار وقد يصل الى ثمانية ملايين . ولكن لما ابتدأ لوزهُ يظهر اتضح ان فروعهُ السفلى المسماة بالحرج قليلة جداً او مفقودة تماماً ثم ظهر ان زمام الاطيان المزروعة قطناً قليل اقل مما كان في السنين الاخيرة ما عدا السنة الماضية التي قُلِّل فيها الزمام قصداً بامر الحكومة . وجاءت ثالثة الاثافي بانتشار دودة اللوز ودودة البزر القرنفلية . وهذه الاخيرة قضت على ربع المحصول او على اكثر من ربعهِ ولا نبالغ اذا قلنا ان ثلث المحصول تلف تماماً قياساً على الاطيان التي رأيناها في القليوبية والغربية والفيوم وتعرف بمقدار محصولها في السنوات الماضية . فان الاطيان الخصبة منها جداً التي كان متوسط محصول فدانها ستة قناطير الى ثمانية بلغ محصول الفدان منها الآن ثلاثة قناطير الى اربعة والتي كان متوسط محصول الفدان منها ثلاثة قناطير الى اربعة بلغ محصول الفدان منها الآن قنطارين ونصف قنطار الى ثلاثة . وكل الذين ذاكرناهم في هذا الموضوع من اصحاب الاطيان يقولون هذا القول و يشكون هذه الشكوى ولذلك لا نستغرب اذا بلغ متوسط محصول الفدان في القطر كلهِ اقل من ثلاثة قناطير وبلغ المحصول كلهُ اقل من خمسة ملايين قنطار . وارتفاع الاسعار يقوم مقام قلة المحصول في الغالب عند الذين تأخروا في بيع قطنهم الى حين ارتفاع سعرهِ فان سعر الكنتراتات بلغ عند كتابة هذه السطور ثلاثين ريالاً والقطن العفيفي يباع قنطارهُ في الارياف بستة جنيهات الى سبعة والسكلاريدس بسبعة جنيهات الى ثمانية وهي اسعار لم ترها مصر الاَّ زمن الحرب الاميركية منذ خمسين سنة

محصول القطن الاميركي

ان ما اصاب القطن المصري فقلل محصولهُ اصاب القطن الاميركي ايضاً فقلل محصولهُ كما قلل محصول القطن المصري وهاك جدول مساحة الاطيان التي زرعت قطناً في اميركا في السنين العشرين الماضية بالفدان واحوال الزراعة شهراً فشهراً ومقدار المحصول الذي نتج منها بالبالات الاميركية وزنة كل بالة خمسة قناطير

سنة	يونيو	يوليو	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	المساحة بالفدان	المحصول بالبالة
١٩١٦	٧٧ ٥	٨١ ١	٧٢ ٣	٦٤ ٢	٥٦ ٣	٣٥ ٩٩٤ ٠٠٠	
١٩١٥	٨٠ ٠	٨٠ ٣	٧٥ ٣	٦٩ ٢	٦٠ ٨	٣٢ ١ ٧٠٠	١٢ ٠٢ ٥٨٧
١٩١٤	٧٤ ٣	٧٩ ٦	٧٦ ٤	٧٨ ٠	٧٣ ٥	٣٦ ٨٣٢ ٠٠٠	١٦ ٧٣٨ ٢٤١
١٩١٣	٧٩ ١	٨١ ٨	٧٩ ٦	٦٨ ٢	٦٤ ١	٣٧ ٠٨ ٠٠٠	١٤ ٦١ ٣٩٤
١٩١٢	٧٨ ٩	٨٠ ٤	٧٦ ٥	٧٤ ٨	٦٩ ٦	٣٤ ٢٨٣ ٠٠٠	١٤ ٠٩ ٠٨٦٣
١٩١١	٨٧ ٧	٨٨ ٢	٨٩ ١	٧٣ ٢	٧١ ١	٣٦ ٠٦٥ ٠٠٠	١٦ ١٠ ٩٣٩٤
١٩١٠	٨٢ ٠	٨٠ ٧	٧٥ ٥	٧٢ ١	٦٥ ٩	٣٢ ٤٠٣ ٠٠٠	١٢ ١٢ ٠٩٥
١٩٠٩	٨١ ١	٧٤ ٦	٧١ ٩	٦٣ ٧	٥٨ ٥	٣٠ ٩٣٨ ٠٠٠	١٠ ٦ ٩٦٦٨
١٩٠٨	٧٩ ٧	٨١ ٢	٨٣ ٠	٧٦ ١	٦٩ ٧	٣٢ ٤٤٤ ٠٠٠	١٣ ٨٢٥ ٤٥٧
١٩٠٧	٧ ٥	٧٣ ٠	٧٥ ٠	٧٢ ٧	٦٧ ٧	٣٠ ٣١١ ٠٠٠	١١ ٥٧ ٩٦٦
١٩٠٦	٨٤ ٦	٨٣ ٣	٨٢ ٩	٧٧ ٣	٧١ ٦	٣١ ٣٧٤ ٠٠٠	١٣ ٥١ ٠٩٨٢
١٩٠٥	٧٧ ٢	٧٧ ٠	٧٤ ٦	٧٢ ١	٧١ ٢	٣٦ ١١٧ ١٥٣	١١ ٣٤٥ ٩٨٨
١٩٠٤	٨٣ ٠	٨٨ ٠	٩١ ٦	٨٤ ١	٧٥ ٨	٣٠ ٠٥٣ ٧٠٠	١٣ ٥٦٥ ٨٨٥
١٩٠٣	٧٤ ١	٧٧ ١	٧٩ ٧	٨١ ٢	٦٥ ١	٢٨ ٠١٦ ٨٩٣	١٠ ٠١١ ٠٠٠
١٩٠٢	٩٥ ١	٨٤ ٧	٨١ ٩	٦٤ ٠	٥٨ ٣	٢٧ ١١٤ ١٠٣	١٠ ٧٢٨ ٠٠٠
١٩٠١	٨١ ٥	٨١ ١	٧٧ ٢	٧١ ٤	٦١ ٤	٢٧ ٢٢ ٠٤١٤	١٠ ٦٨١ ٠٠٠
١٩٠٠	٨٢ ٥	٧٥ ٨	٧٦ ٠	٦٨ ٢	٦٧ ٠	٢٥ ٧٥٨ ١٣٩	١٠ ٣٨٣ ٠٠٠
١٨٩٩	٨٥ ٧	٨٧ ٨	٨٤ ٠	٦٨ ٥	٦٢ ٤	٢٤ ٢٧٥ ٠٠٠	٠٩ ٤٣٦ ٠٠٠
١٨٩٨	٨٩ ٠	٩٠ ٢	٩٠ ٢	٧٩ ٨	٧٥ ٤	٢٤ ٩٦٧ ٠٠٠	١١ ٢٧٥ ٠٠٠
١٨٩٧	٨٣ ٥	٨٦ ٠	٨٦ ٩	٧٨ ٣	٧ ٠	٢٤ ٣٢٠ ٠٠٠	١١ ٢٠٠ ٠٠٠

ويتضح من إنعام النظر في هذا الجدول وجود الارتباط بين حالة الزراعة ومقدار المحصول ولكن يجب ان يؤخذ متوسط الحالات في الاشهر الخمسة كلها. وقد كان المظنون في شهر سبتمبر ان محصول القطن الاميركي يبلغ ١١ مليوناً و٨٠٠ الف بالة وفي شهر اغسطس انهُ يبلغ ١٢ مليوناً و٨٠٠ الف بالة ولكن لما ظهر التقرير الاخير عن حالة القطن ترجح ان المحصول لا يبلغ ١١ مليون بالة ولذلك ارتفعت الاسعار كثيراً ولا تزال آخذة في الارتفاع

اين يصرَّف القطن الاميركي

كانت معامل اميركا قبيل الحرب تأخذ اقل من ستة ملايين بالة من محصولها اما الآن فصارت تأخذ اكثر من سبعة ملايين بالة كما ترى في هذا الجدول

	موسم ١٩١٥	موسم ١٩١٤	موسم ١٩١٣	موسم ١٩١٢
اميركا	٧١٠٧٠٠٠	٦٢٣٠٠٠	٥٧٧٢٠٠٠	٥٥٨٨٠٠٠
انكلترا	٣٢١٠٠٠٠	٣٢٠٩٠٠٠	٣٢٩١٠٠٠	٣٤٥٠٠٠٠
اوربا	٣٠٤٩٠٠٠	٣٩٢٠٠٠٠	٥٦٩٤٠٠٠	٤٩٢٤٠٠٠
اليابان والمكسيك الخ	٥٣٧٠٠٠	٥٣١٠٠٠	٥٣٨٠٠٠	٤٠٧٠٠٠٠
المجموع	١٣٩٠٣٠٠٠	١٣٨٩١٠٠٠	١٤٥٥٣٠٠٠	١٤٣٦٩٠٠٠

مواسم اميركا

يظهر ان هذه السنة سنة محل في ولايات المتحدة الاميركية كما ترى في الجدول التالي من تقدير ديوان الزراعة فما في شهر سبتمبر الماضي

	تقدير المحصول في سبتمبر	ما بانهُ في العام الماضي
القمح	٦١١٠٠٠٠٠ بشل	١٠١٦٠٠٠٠٠ بشل
الذرة	٢٧٠١٠٠٠٠ «	٣٠٥٥٠٠٠٠٠ «
الاوت	١٢٣١٠٠٠٠٠ «	١٥٤٠٠٠٠٠٠ «
الشعير	١٨٤٠٠٠٠٠ «	٢٣٧٠٠٠٠٠ «
الراي	٤٢٩٠٠٠٠ «	٤٩٠٠٠٠٠ «
البطاطس	٣١٨٠٠٠٠٠ «	٣٥٩٠٠٠٠٠ «
البطاطا	٦٩٠٠٠٠٠ «	٧٤٠٠٠٠٠ «
الرز	٣٣٠٠٠٠٠ «	٢٩٠٠٠٠٠ «

فتقدير كل هذه الحاصلات يدلُّ على النقص الكبير فيها بالنسبة الى العام الماضي الاَّ الرز فان في محصوله زيادة قليلة . ومما يدل تقديرهُ على الزيادة ايضاً الشجر الذي يستخرج منهُ السكر فقد كان محصولهُ في العام الماضي ٦٥١٠٠٠٠ طن وقدر محصولهُ هذه السنة في شهر سبتمبر ٧٦٦٠٠٠٠ طن

الباب السبعون بالصناعة

الطيارات لقتال الغواصات

لا يقلُّ الحديد الاَّ الحديد . فلما تكرر فتك الغواصات حتى ضاق ارباب السفن بها ذرعاً قام المخترعون يحاربونها بالطيارات فقد ظهر لهم ان الطيّار يرى الغواصة وهي غائصة في الماء و يتدبّر عمقها تقديراً قريباً من الحقيقة فاستنبطوا قنبلة شديدة الانفجار اذا طرحت من الطيارة نزلت الى الماء وغاصت بسرعة وانفجرت حيث يريد الطيار ان تنفجر وهي مؤلفة من وعاء مملوء بالمادة المتفجرة وفي رأسها انبوب صغير فيه قليل من معدن الصوديوم الذي يشتعل اذا مسَّه الماء وفيه ايضاً قليل من قطن البارود والمادة المتفرقعة التي توضع في الكبسول . و يتصل بوعاء القنبلة قرص مستدير يتحكم في سرعتها . وفي اعلاها ثقوب يدخل منها الماء فاذا دنت من الغواصة وصل الماء الى الصوديوم واشعلهُ فيشتعل به قطن البارود وتنفجر القنبلة واذا حدث ما عاق الماء عن الدخول لإشعال الصوديوم في القنبلة آلة كهربائية متصلة بحبل في طرفه اسفنجة فمتى غاصت القنبلة في الماء ابتلَّت الاسفنجة وثقلت في طرف الحبل فتحركهُ فيتصل المجرى الكهربائي وتتولَّد منهُ شرارة تشعل المادة المتفجرة التي في القنبلة

وقد نقلنا في الشكل القابل صورة طيار وطيارة وقد رمى قنبلة من هذه القنابل على غواصة في الماء فغاصت فيه فوق الغواصة . والى جانب الطيارة صورة هذه القنبلة وقد قطع جانب منها لكي يظهر باطنها

قياس الحرارة الشديدة

اذا كانت الحرارة شديدة جدًّا كالحرارة التي يصهر بها الحديد والفضة والذهب فالمقاييس العادية لا تعلج لها او لا يسهل استعمالها على الصنّاع في المعامل . وقد وُجد بالاختبار ان النور الذي يشع من معدن حامٍ يكون سطوعهُ على نسبة حرارة ذلك المعدن اي اذا عرفنا مقدار نور الجسم الحامي عرفنا درجة حرارته . فصنعت آلة سميت البيرومتر النظري فيها مصباح كهربائي صغير ينظر بها الصانع الى نور الجسم المحمى و يقابلهُ بنور المصباح الكهربائي و يتحكم بنور هذا المصباح حتى يصير نورهُ مماثلاً في سطوعه لنور المعدن

صورة طيارة تحارب غواصة وقد اطلق الطيار من طيارته قنبلة شديدة الانفجار على الغواصة فغاصت فوقها - وهي ظاهرة في الشكل

مقتطف نوفمبر ١٩١٦

امام الصفحة ٤٠٠

المحمى تماماً والتحكم بنور المصباح الكهربائي يكون بواسطة دائرة مقسومة الى درجات تعرف منها درجة حرارة النور الكهربائي فتعرف درجة حرارة فتيل المحمى لمائة نور حينئذٍ للنور الكهربائي

تلوين النحاس

النحاس الاصفر والاحمر يسهل تلوينهما بما يراد من الالوان وطريقة ذلك ان تمزج أكسيد الحديد والبلمباجين وتجلبها بالسبيرتو او الماء . والسبيرتو افضل لان المزيج يجف بسرعة . ثم ادهن النحاس بهذا المزيج وضعهُ في فرن او احمه بتنديل السبيرتو فيتغير لونهُ ويكتسب لوناً جديداً حسب ما في المزيج من أكسيد الحديد وحسب المدة التي تعرّض فيها للحرارة . فاذا زاد أكسيد الحديد زاد اللون كمدة . ثم ينزع المزيج عن النحاس بفرشاة او خرقة مبللة بالسبيرتو ومتى نظف يدهن بورنيش يقيهِ من الصدإ ويمكن ان يسخن ويدهن بقليل من الشمع بدل الورنيش

ويمكن تلوين النحاس بلون احمر بدهنهِ بمزيج من خلاّت النحاس (الزنجار) وملح الشادر واخل . ويكون مقدار خلات النحاس ثلاثة اضعاف ملح الشادر فيكتسب النحاس لوناً احمر وتشتدُّ حمرتهُ اذا اضيف الى المزيج قليل من الشب الازرق . واذا أُريد ان يكون النحاس احمر ضارباً الى الحمرة فادهنهُ بمزيج من خلاّت النحاس والزنجفر وملح الشادر والشب الابيض . ويكون كل من ملح الشادر والشب الابيض مضاعف خلاّت النحاس والزنجفر . ثم يحمى النحاس كما تقدم . ويمكن تلوين النحاس بالوان زرقاء مختلفة بتطليتهِ في مصهور كبد الكبريت ثم سحقهِ وغسلهِ وتكرير ذلك حتى يكتسب اللون المطلوب

المصنوعات الكهربائية

كانت قيمة المصنوعات الكيماوية الكهربائية في الولايات المتحدة الاميركية سنة ١٩٠٩ نحو ١٨ مليوناً ونصف مليون من الريالات فصارت سنة ١٩١٤ أكثر من ٢٩ مليوناً ونصف مليون وذلك عدا الحديد والصلب اللذين يسبكان بالافران الكهربائية . فاذا حول هبوط الماء في شلال اسوان الى كهربائية فلا يبعد ان تستعمل لعمل المواد الكيماوية الكهربائية كالسينامید ونحوهِ فيكون منها عمل نافع كثير الربح لاسيما وان اكثر ما يلزم لذلك الكهربائية التي تتولد من الشلال والنيتروجين من الهواء

النسيج من القرّاص

الحاجة ام الاختراع . لما قلَّ الوارد من القطن والصوف الى بلاد الالمان مدة الحرب التفتوا الى نبات القرّاص وهو في عروقهِ من الالياف فاستنبط احد الكيماويين طريقة لاستخراج هذه الالياف سليمة متينة فصارت تغزل وتنسج ويقال ان ما ينسج منها متين صقيل كانهُ منسوج من الحرير

السماد من الجلد الدبيغ

من الاختراعات التي دعت اليها الحاجة في بلاد الالمان مدة هذه الحرب استخراج السماد من قصاصة الجلود المدبوغة فان قصاصة الجلد المدبوغ لا تصلح للسماد لما فيها من التنين (مادة العفص الذي يدبغ بهِ الجلد) فاستنبط بعضهم طريقة لاستخراج التنين من القصاصة وهي ان تنظف اولاً مما هو عالق بها من المواد الدهنية ثم توضع في سائل قلوي على درجة ٥٠ الى ٦٠ بميزان فارنهيت فيخرج التنين منها ثم تعاد معالجتها بالمادة القلوية فتصير سماداً من اصلح الاسمدة للمزروعات . والتنين لا يطرح بل يستخرج كلهُ من السائل القلوي لانهُ ثمين كالسماد

سقوط العتب الاكبر في كبري سنت لورنس

ذكرنا في مقتطف سبتمبر ان كبري سنت لورنس بامبركا وهو اكبر كباري الحديد سقط في النهر خلال قيهِ

وقد اقيم بعدهُ كبري آخر تلافى مهندسوهُ الخطأ الذي وقع في الكبري الاول ولكنهم وقعوا في خطإٍ آخر فان العتب الاوسط تقلهُ خمسة آلاف طن وطولهُ ٦٤٠ قدماً ويؤلف مع الكابولين اللذين يتصل بهما حينما يوضع في محلهِ باباً صعتهُ ١٨٠٠ قدم . ولما تم عملهُ حمل على القوارب المتينة وجيء بهِ الى ما بين الكابولين ليرفع الى مكانهِ ١٤٥ قدماً وكان ذلك في الحادي عشر من شهر سبتمبر الماضي فربط بالسلاسل من زواياهُ الاربع واخذت الآلات المائية المعدة لرفعهِ ترفعهُ رويداً رويداً وكان المقدَّر ان رفعهُ يتمُّ في ٢٠ ساعة ولكن لم يكد يرتفع بضع اقدام حتى انثنت زاوية من زواياهُ الاربع فالتوى واختلَّت موازنتهُ فسقط وغاص في الماء حيث العمق مئة قدم ولا يرجى اخراجهُ من هناك

ولا بدَّ من انفاق مليون من الريالات وانقضاء سنة اخرى من الزمان حتى يصنع عتب آخر بدلاً منهُ

باب التقريظ والانتقاد

THE INSECT AND RELATED PESTS OE EGYPT.

حشرات مصر

بحث المستر ولككس في الحشرات التي تضرُّ المزروعات والاشجار المثمرة وغير المثمرة والحيوانات الاهلية والحاصلات المخزونة والمباني والاطعمة والتي تضرُّ الانسان ايضاً من حيث نقلها مكروبات الامراض اليهِ . ومرادهُ ان يصدر كتباً في ذلك يذكر فيها طبائع هذه الحشرات وكيفية اتلافها . وقد اصدر الآن الجزء الاول من المجلد الاول وموضوعهُ دودة بزر القطن القرنفلية وهو كتاب كبير باللغة الانكليزية مزدان بالصور الجيلة لتوضيحهِ ولكنهُ مطبوع بحروف فرنسوية قلما ترتاح اليها عين من الف مطالعة الكتب الانكليزية . وما اعظم الضرر الذي لحق بالقطر المصري من جراء هذه الدودة الصغيرة فقد قدَّرهُ المؤلف عن موسم سنة ١٩١٣ بنحو تسعة ملايين جنيه اذا فرض ان نقص المحصول بسببها كان قنطاراً ونصف قنطار من كل فدان وكان ثمن القنطار ١٧ ريالاً وطلبهِ فضررها في محصولنا الحاضر اكثر من مضاعف ذلك لان ثمن القنطار مع بزرتهِ اكثر من ٣٤ ريالاً . وعلى كل حال لا يقل ضررها السنوي في القطر المصري عن عشرة ملايين من الجنيهات . فعدو مثل هذا يخسِّر القطر كل سنة اكثر من عشرة ملايين من الجنيهات يستحق ان تنفق الوف الجنيهات على درس اطوارهِ وطبائعهِ قصد الوصول الى آفة تهلكهُ او طريقة تخلصنا منهُ . ولكن هيهات فالمستر ولككس واخوانهُ اشتغلوا وتعبوا في السنوات الثلاث الماضية ولم يقل فتك هذه الدودة بل زاد . وسنأتي في الجزء التالي على بعض الفوائد من هذا الكتاب النفيس

ديوان عبد الرحمن شكري

اهدى الينا صاحب هذا الديوان الجزء الخامس منهُ وهو كالاجزاء السابقة في جودة النظم لفظاً ومعنى . وقد صدَّرهُ بمقدمة طويلة في الشعر ومذاهبهِ

المنظومات الدرّية

هو ديوان يحتوي على قصائد شتى من مديح وغزل وفخر وسياسة ورثاء بقلم الياس افندي طربية احد متخرجي مدرسة الحكمة الاخوية في عرامون كسروان بجبل لبنان . وقد نظمهُ في بلاد الارجنتين احدى جمهوريات اميركا الجنوبية

باب المسائل

نفتتح هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · وبشرطَيْ على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه وألقابه وعن اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل الجواب باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك فنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر فتكون قد اهملناهُ لسبب كان

(١) معنى ملكانية ويعقوبية ومبانية

شبراخيت · احمد افندي الصراف ·

كنت اطالع في الجزء الثاني من خطط المقريزي طبعة المليجي سنة ١٣٢٤ هجرية فاذا في السطر الثالث من الصفحة ٥٩ قولهُ « فتحت ارض مصر وصارت دار اسلام وقد كانت بيد الروم والقبط وهم نصارى ملكانية ويعقوبية ومبانية » فما مرادهُ بلفظة ملكانية ولفظة مبانية · اما يعقوبية فاظن انها الفرقة التي يطلق الفرنسويون عليها اسم Jacobins · ارجو الاجابة في المقتطف

ج · اختلف المسيحيون من قديم الزمان في طبيعة السيد المسيح فقال بعضهم ان فيهِ طبيعة واحدة وكان زعيمهم الاسقف يعقوب البرادعي الذي نشأ في اواخر القرن السادس المسيحي فسموا يعاقبة نسبة اليهِ ويقال ان القبط الارثوذكس في مصر كانوا منهم · وقال بعضهم ان فيهِ طبيعتين وهم الاكثرون وكان منهم اهل القسطنطينية وبيت الملك فسموا ملكانية نسبة الى بيت الملك · ويظهر لنا ان المقريزي يريد بالمبانية المانية نسبة الى ماني الفارسي الذي نشأ في اوائل القرن الثالث المسيحي وحاول المزج بين المسيحية والمجوسية وكثر اتباعهُ شرقاً وغرباً حتى كثر انصارهُ في رومية نفسها بين سنة ٣٧٠ و ٤٤٠ واليعقوبية غير الجاكوبيين الفرنسويين فان هؤلاء حزب سياسي نشأ سنة ١٧٨٩ سمّاهُ خصومهُ كذلك لان زعماءهُ كانوا يجتمعون في شارع سان جاك بباريس

(٢) معنى آلية

ومنهُ · اقرأ في المقتطف لفظة المواد الآلية فما معنى الآلية وهل ياؤُها مشدّدة او مخففة

ج · ياؤُها مشدّدة هكذا آليّة نسبة الى آلة يراد بها ما كان اصلهُ حيّاً او من مادة حية كاللحم والجلد والشعر والقرن ويقابلهُ المواد الجمادية او المعدنية كالحديد والنحاس والماء · والذين عربوا الكتب العلمية في مصر استعملوا كلمة عضوية بدل آلية اما نحن ففي اول

عهدنا بالترجمة رأينا علماء العرب الاقدمين مثل ابن سينا يستعملون كلمة آلي وآلية فجرينا مجراهم

(٣) دائرة معارف عربية

المنصورة · اليوزباشي ثابت افندي حسن عضو مجلس قرعة الدقهلية · اي الدائرتين تفضلون البستانية لمزاوة مادتها او الوجدية لحداثتها

ج · لا نتذكر اننا رأينا الثانية او طالعنا شيئاً منها ان كنا قد رأيناها واما الاولى فحسنة جداً في بابها وحبذا لو تمّت او لو قام جماعة من محبي التقدم وجمعوا مالاً كافياً لانشاء دائرة معارف عربية مثل الدوائر الانكليزية والفرنسوية الكبرى · ولكن المال الذي يقتضيه هذا العمل حتى يأتي متقناً لا يقل عن عشرات الالوف من الجنيهات ولا يرجى ان يباع من الكتاب بعد اتمام طبعه ما يفي بربا المال الذي ينفق عليه

(٤) خضاب الشعر والصحة

ومنهُ · هل خضاب الشعر يضر بالصحة فوق ضرره الادبي

ج · اذا كان الخضاب نباتياً كالحناء فلا ضرر منه واذا كان معدنياً فبعضهُ سام كاملاح الرصاص وبعضهُ غير سام كاملاح الفضة ولكن من المحتمل انهُ يضر الشعر

(٥) صحة الاحلام

ومنهُ · رأيت في دائرة البستاني تأويلاً لرؤيا الذئب فهل في ذلك ما يؤيد رأي القائل بتفسير الاحلام

ج · تجدون في مقتطف ماير الماضي كلاماً وافياً على الاحلام وعلاقتها بالحالم وهو لاكبر فيلسوف من فلاسفة العصر وفيه خلاصة ما يقال في هذا الموضوع وما قامت الادلة على اثباته · اما ما ذكرتهُ دائرة المعارف فنقول عن الدميري وهو مثل كثير مما ذكرهُ الدميري غفر الله لهُ لا يقوم دليل على صحته

(٦) توارد الخواطر

ملوي · زكي افندي ناشد سركيس ·

قال امرؤ القيس في معلقته

وقوفاً بها صحبي عليَّ مطيهم

يقولون لا تهلك اسى وتجمل

وقال طرفة بن العبد البكري مثلهُ ولكنهُ ابدل تجمل بتجلد · فايهما نقل عن الآخر وهل ذلك جائز في الشعر

ج · يقال ان اتفاقهما من باب توارد الخواطر اي ان المعنى الذي طرقاهُ كان شائعاً فاتفق انهما عبَّرا عنهُ على اسلوب واحد واختلفا في القافية لاختلاف الروي في المعلقتين وذلك ليس مستبعداً او ليس في حد المحال ويجوز ان يكون قول طرفة من قبيل التضمين لقول امرء القيس او الاستعانة

(٧) سبب الشفق

مصر · احد المشتركين ما سبب ظهور الشفق عند الغروب

ج · سببهُ انعكاس نور الشمس بعد غروبها عن الذرات العائمة في الهواء فان النور ينتشر من الشمس الى كل جهة فاذا هبطت تحت الافق درجة او درجتين او اكثر الى ١٨ درجة فان بعض اشعة النور الصادرة منها تنعكس عمَّا في الهواء من دقائق المياه والبخار وترتد الينا فنرى بها ما انعكست عنهُ

ومنهُ · ما سبب الالوان الجميلة التي تظهر في السماء عند شروق الشمس وغروبها في اكثر الاحيان

ج · ان نور الشمس الذي يكوّن الشفق والفجر كما تقدم يكون اكثرهُ ناتجاً عن الانعكاس وبعضهُ عن الانكسار وقد يخل في الحالين الى الوائر او يمتص بعضهُ ويصل الينا البعض الاخر حسب ما يكون في الهواء من المياه ودقائق البخار وذلك هو سبب الالوان الجميلة التي نروبها وسبب اختلافها

(٨) معنى ديموقراطي وارستقراطي

ومنهُ · ما اصل اشتقاق كلتي ديموقراطي وارستقراطي اللتين نراهما في الكتب والجرائد

ج · ديموقراط يونانية مركبة من كلمتين ذيموس اي شعب (وعندنا ان كلمة ذمة وذمي منها لان المراد بها الشعب المحكوم) وكراتين حكومة او سلطة · اي الحكومة التي من الشعب · وكلمة ارستقراطي مركبة من كلمتين يونانيتين ايضاً ارستوس اي الخاصة وكراتين اي حكومة ومعناها الحكومة التي يتولاها اعيان الشعب ثم صارت تطلق على اعيان الشعب انفسهم

(٩) شهوة الطعام

ومنهُ · اذا اشتهى الانسان نوعاً من الطعام ليكن ملوخياء او باميا او اي صنف آخر فاي جزء من جسمهِ يطلب ذلك الصنف فيذكر انهُ يشتهيهِ

ج · ان شهوة الطعام فعل عصبي تدعو اليهِ حاجة الجسم الى الغذاء او يدعو اليهِ اعتياد الجسم الاكل في وقت محدود · واشتهاء هذا الطعام او ذاك بالذات نوع من تذكّر اللذة التي كان الجسم يجدها باكل ذلك الطعام وهو ايضاً فعل عصبي · اما ماهية هذا الفعل العصبي ففير معلومة

(١٠) عن الثياب

مصر · مصطفى رشيد بك · غسلت ملاءة فراش من تيل قبل استعمالها ثم كويت قبل جفافها وحُفظت بعد ذلك مبتلة بالماء قبل تمام جفافها في الدولاب الخاص بها فنتج عن ذلك تعفن التقى فيها بقعاً صغيرة سوداء · فاي طريقة يمكن استعمالها لازالة هذه البقع

ج · في الصيدليات سائل يسمى ماء جافل eau de Javelle يزيل هذه البقع اذا كانت سطحيَّة واما اذا تمكن العفن من

الملاءة حتى اتلف خيوطها فهذه الخيوط تُحلّ بسرعة في مكان البقع اي تُحرق قبل تحرّق الملاءة . ويصنع ماء جافل هذا باذابة كربونات البوتاسيوم وكلوريد الجير (مسحوق القصارة) بالماء

(١١) كذب الفراسة

جوندياهي بالبرازيل الخواجه حسيب ابو خلف ، وضع احد التجار خادماً في محلهِ وكان قد قرأ بعض كتب الفراسة فاخذ يقابل اوصاف الخادم وحركاتهِ وسكناتهِ على ما قرأ من كتب الفراسة فوجد انهُ اذا صح علم الفراسة فلا يمكن ان يكون هذا الخادم صادقاً في خدمتهِ . لكن الخادم كان يقوم بكل ما يطلب منهُ حق القيام . فاخذ يتازع التاجر عاملان عامل الميل الى الخادم لانهُ قائم بما يطلب منهُ وعامل النفور منهُ لانهُ قد يمكن ان لا يكون صادقاً في خدمتهِ كما يدل علم الفراسة . اخيراً تغلب عليهِ عامل الفراسة واخرجهُ من محلهِ آسفاً على فراقهِ فهل يصح علم الفراسة وهل يمكن التعويل عليهِ

ج . ان الصحيح من الفراسة لا يدل على كون الخادم امينًا او غير امين والعلامات التي يقال انها تدل على ذلك لا يعوّل عليها . راجعوا ما كتبناهُ في المجلدين ٢٦ و ٢٧ من المقتطف مقالات عنوانها الصحيح من الفراسة

(١٢) مشاهير رجال هذه الحرب

ومنهُ . من هم مشاهير رجال الحرب الاوربية الذين امتازوا على غيرهم وسيكون لهم اعظم ذكر في التاريخ سواء كان من رجال السياسة او من رجال الحرب

ج . ان الذين امتازوا كثيرون والظاهر ان اشهرهم كتشنر في انكلترا وجوفر في فرنسا وهندنبرج في المانيا والارشيدوق نقولا في روسيا من رجال الحرب واسكويث وغراي ولويد جورج في انكلترا وبريان في فرنسا والامبراطور ولهلم ومشيرهُ الدكتور بتمن هلغ في المانيا من رجال السياسة . وقد يشتهر غيرهم مثلهم قبل انتهاء هذه الحرب

(١٣) التزوج بين الاقارب

ومنهُ . ما هي آراء السر جورج دارون المترجم في المجلد ٤٢ من المقتطف في تزوج اولاد الاعمام بعضهم ببعض

ج . لا نظن ان لهُ رأياً مخصوصاً في ذلك لانهُ كان رياضيًّا لا طبيعيًّا والمحقق ان تزوج الاقارب يضرُّ اذا كان فيهم مرض وراثي او استعداد لمرض وراثي وذلك لان الميل الى ذلك المرض يقوى باتصاله الى الاولاد من الاب والام معًا . ولكن اذا لم يكن فيهم مرض وراثي ولا ميل الى مرض وراثي فلم يقم دليل حتى الآن على ان تزوجهم يضرُّهم . ومن المرجح انهُ ينفعهم اذا كان فيهم صفة صالحة يحسن اثباتها وتقويتها . راجعوا ما كتبناهُ في هذا الموضوع في الجزء الاخير من المجلد التاسع والجزء الثالث من المجلد العاشر

الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر نوفمبر

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاول	٢	٧	٥١	مساء
البدر	٩	١٠	١٨	٠
الربع الاخير	١٨	٠٠	١	صباحاً
الهلال	٢٥	١٠	٥٠	٠
القمر في الاوج	١٦	٤	٠٠	٠
٠ ٠ الحضيض	٢٧	٩	٤٢	مساء

السيارات

عطارد ٠ يكون كوكب صباح في اول الشهر ثم لا يشاهد في آخره

الزهرة ٠ تكون كوكب صباح

المريخ ٠ يكون كوكب مساء

المشتري يغرب نحو الساعة ٤ صباحاً

زحل ٠ يشرق نحو الساعة ١٠ مساء

السر نودر برانتون

خسر العلم الطبي عموماً والطبي خصوصاً خسارة لا تقدر بوفاة السر لودر برانتون الطبيب الانكليزي المشهور توفي في ١٦ سبتمبر الماضي ولهُ من العمر ٧٣ سنة ٠ ولد سنة ١٨٤٤ ودرس الطب في جامعة ادنبرج وفي باريس وفينا وبرلين وليبتسج ٠ واختار الاقامة في لندن فعين استاذاً لعلم الاقراباذين في مستشفى مدلسكس وطبيباً مساعداً في مستشفى سان برثولوميو المشهور

واعظم ما اشتهر بهِ مباحثهُ في فعل الادوية في الجسم فجرَّب تجارب كثيرة في نفسهِ وفي الحيوانات للوصول الى غرضهِ ٠ وسنة ١٨٨٥ نشر كتاباً في علم الاقراباذين (تركيب الادوية) والمواد الطبية والعلاج فطبع طبعات كثيرة في انكلترا وسائر اوربا

وفي سنة ١٨٨٦ عين عضواً في اللجنة التي انتدبت لفحص طريقة الحقن التي اتبعها پاستور في معالجة الكلب ٠ وسنة ١٨٨٩ عين عضواً في اللجنة التي انتدبها نظام حيدر اباد للبحث في فعل الكلوروفورم ٠ واشتدت شهرتهُ في انكلترا في تشخيص الامراض حتى كان يستشار من كل حدب وصوب وبلغ في فن العلاج غاية ما بعدها غاية فادخل صنفاً جديداً من الادوية وهو المسمى vasodilator اي موسع الاوعية الدموية ٠ وهو اول من استعمل نيتريت الاميل في معالجة داء الالم الفؤادي (angina pectoris) فان فعلهُ الفسيولوجي مقاوم لاعظم اسباب هذا المرض اي اشتداد ضغط الدم

رآسة الولايات المتحدة الاميركية

سيفي اوائل الشهر الجاري (نوفمبر) وبعبارة ادق في يوم الثلاثاء الاول بعد يوم الاثنين الاول منهُ ينتخب الاميركيون رئيسهم فاما ان يعاد انتخاب الدكتور ولسن الرئيس الحالي للمرة الثانية فتبقى مقاليد الاحكام في ايدي الديموقراطيين واما ان يفوز المستر هيوز مرشح الجمهوريين فتعود ازمة الاحكام الى يدهم

ومهما يكن من انتخاب هذا او ذاك فان الرئيس الجديد يتولى منصب الرآسة في ٤ مارس المقبل وفي خلال المدة التي تمرّ بين انتخابهِ وتوليهِ منصبهُ قلما يسمع الناس شيئاً عنهُ . اما مرشح الجمهوريين فقاضٍ من قضاة المحكمة العليا فلما رشح للرآسة اعتزل منصبهُ ليتفرغ لحركة الانتخاب وهو انكليزي الاصل من مقاطعة ويلس . والرئيس ولسن انكليزي الاصل ايضاً من اسكتلندا وكلاهما ابنا قسيس وقد كانت حرفتهما التدريس في اوائل عمرهما ثم انتقل الرئيس الى احدى الجامعات الكبرى حيث بقي استاذاً فيها ثم رئيساً لها الى ان انتخب رئيساً للجمهورية اما هيوز فاشتغل بالمحاماة ثم عين حاكماً لولاية نيويورك . واوجه الشبه بين الاثنين كثيرة حتى قالـــ فيهما بعض الظرفاء ان هيوز هو ولسن ملتحٍ

ولما كان المستر هيوز حاكماً لنيويورك ارادت احدى الجامعات ان تدعوهُ لوضع حجر الزاوية في بناء مبتدعاتها فطلبوا من صديق لهُ وزميل قديم في المحاماة ان يدعوهُ لذلك فقال « لم تحسنوا الاختيار . انا آخر رجل يصلح لهذه المهمة . فانهُ منذ تولى هيوز منصب حاكم نيويورك اغلق بابهُ دون اخصائهِ واقربائهِ . ارسلوا اليهِ رجلاً غريباً . بأنكم مسرعاً ولكن اذا ذهبت انا اليهِ لم يجب دعوتي خشية ان يكون مليئاً لداعي عامل شخصي وبالتالي لداعي عامل يتكرهُ و يكرههُ »

و يعبّر الرئيس ولسن خصومهُ بعبارة قالها في خلال الحرب الحاضرة وهي « انا اكبر من ان احارب » . وقد فسرها احد اصحابهِ بقولهِ ان المستر ولسن اراد بهذه العبارة ان امتهُ العظيمة فوق كل محاولة يقصد بها استخدام قواها العظيمة للضرب على ايدي الامم الضعيفة (اشارة الى التكسيك) وانها تحتمل من الاذى والاهانة ما هو في طوق البشر قبل خوض المعترك

وعيّر بعضهم المستر هيوز بقولهِ انهُ ان كان ولسن اكبر من ان يحارب فهيوز اكبر من ان يتكلم اشار بذلك الى رفض المستر هيوز ان يبوح بسياستهِ قبل ترشحهِ لمنصب الرياسة . وانما رفض ذلك عملاً منهُ انهُ لا يليق بقاضٍ من قضاة المحكمة العليا ان يدخل في المنازعات السياسية وهو في منصبهِ القضائي

ورق الخطب من القطن والخشب

ثبت للعلماء ان لا علاقة البتة لاطلاق المدافع بنزول المطر ومع ذلك لا يزال هذا الوهم مستولياً على العقول في كل مكان حتى قالت مجلة الناشر الانكليزية في عدد اخير لا غنى عن نشر بلاغ علمي رسمي ليبدد الاشاعة التي شاعت عندنا في هذه الايام وهي ان سبب كثرة تهاطل الامطار في انكلترا هذا الصيف الفائت كثرة اطلاق المدافع في فرنسا وفلاندر . فقد اقيمت التجارب في اوربا واميركا والاسكا واستراليا لتحقيق هذه العلاقة فظهر بطلانها . ثم انهُ لو استعملت قوة اطلاق المدافع كلها لازالة الحرارة واحداث البرد اللازم لانعقاد البخار مطراً ما كفت لذلك فضلاً وهي لا تستعمل كلها لاحداث البرد . وكذلك يجب ان نذكر انهُ مرت بنا فترات بين مطر ومطر كان الطقس فيها على اصفى ما يكون في حين ان اطلاق المدافع كان مطرداً بمراد المشاد

الورق من حطب القطن

ذكرنا فيما سبق ان الالمان يستعينون في عمل الورق من سوق القطن وليس ذلك بمستغرب فان القطن من الفصيلة الخبازية كالخبازى والملوخية والخطمي وهذه الفصيلة معروفة بكثرة ما فيها من الالياف . وقد ظهر من تجارب بعض الاميركيين ان هذه الالياف يمكن عمل ورق منها وخيوط وحبال وان خيوطه يمكن ان تنسج ملابس . وقد جاء في قاموس الخاسارات الاقتصادية الذي تنشره حكومة الهند ان حطب القطن يحتوي الياف متينة طويلة تفصل عنهُ بالتمشيط كما يصنع بالجيل والكتان . وقد انفق كثيرون من الباحثين الى ذلك منذ اكثر من عشرين سنة واشاروا باستخدام هذه الالياف في التجارة اي بنسج منسوجات منها ففي جزر صندوتش مثلاً يصنع الاهالي خيوطاً متينة من الياف نبات يشبه نبات القطن في جميع اوصافهِ . وفي سنة ١٨٨٦ عرض في قسم المنسوجات من معرض باريس الذي اقيم في تلك السنة الياف متينة استخرجت من احد اصناف القطن المزروع في ولاية جورجيا الاميركية . وكان استخراجها من سوق القطن الخضراء بعد زرع القطن بستين يوماً

لحم صغار العجول

شاع في اوربا واميركا منذ عهد بعيد ان لحم العجول قبل بلوغها الاسبوع الثالث من عمرها لا يصلح طعاماً للناس حتى ان بعض الحكومات قوانين يحظرون بها بيع هذا اللحم . ولكن يظهر من المباحث التي يجريها بعض العلماء حديثاً ان هذه الاشاعة ككثير غيرها من الاشاعات التي صدقها العامة حتى العلماء بالتواتر لا بالمشاهدة والتمحيص . فقد

بضع سنوات أطعم طبيب اميركي سبع عائلات مؤلفة من ٢ نفساً شيئاً من هذا اللحم في جملة طعامهم وبقي على ذلك مدة طويلة فلم يؤثر فيهم تأثيراً ضاراً . وظهر له من تجارب اخرى جربها بعد ذلك ان لحم البقر الغاري وهذا اللحم يتهضمان بسرعة واحدة . وجرب آخر تجارب في لحم ارنبين مجلاً عمر اكبرها اسبوع واحد فظهر له بالتحليل الكيماوي ان لحمها لا يختلف اختلافاً فسيولوجياً يعتد به عن لحم البقر العادي وان الصنفين على درجة واحدة من حيث سهولة الانهضام .

وأطعم بعض الفئران لحم العجول الصغيرة ومنع عنها كل طعام آخر من الاطعمة النتروية للنتروجين فنمت نمواً طبيعياً وتمت وولدت أجراء تامة الخلق والعافية

تفتيح الازهار بالصناعة

منذ بضع سنوات قصد رجل فرنسوي انكلترا وجرب تجارب زراعية امام جماهير من المشاهدين فدهشوا اشد دهشة اذ لم يدركوا سر هذه التجارب . واهمها انه جاء بوردة تحمل ازهاراً لا تزال براعم وقال للمشاهدين ان هذه البراعم ستتفتح ازهاراً كاملة في نحو عشر دقائق ثم شرع في تجربته فسقى الوردة وغطاها بغطاء من الزجاج مدة عشر دقائق ثم رفع الغطاء واذا المشاهدون يرون تحته وروداً تامة الافتتاح والتنوير . واذ رأى في وجوههم دلائل الشبهة والريبة في حقيقة ما يرون صحح لهم بالدنو من الوردة واقتطاف ما شاؤوا من ازهارها ففعلوا وتحققوا ان ليس في الامر تمويه او خداع . ولم يكشف السر الا بعد مقضي زمان طويل على هذه التجارب . والسر ان الرجل المشار اليه جاء بوردة توشك ازهارها ان تتفتح . وقبل التجربة بوقت قصير حفر مخدقاً قريب القعر حولها ووضع فيه شيئاً من الجير الحي بحيث لا يمس الجذور ثم ملأه تراباً كما كان قبل حفره . ولما شرع في تجربته بدأ بصب الماء كما تقدم فتخلل الماء التراب واتصل بالجير فتولد من ذلك حرارة كثيرة وبخار أبقى حول الوردة بالغطاء الزجاجي الذي وضع عليها . فهذه الحرارة وهذا البخار اثرا تأثيراً شديداً في انماء الوردة على عجل وتفتيح ازهارها

وكثيراً ما ترى البستانيين يلجأون الى هذا المبدإ في تفتيح الازهار ولو اختلفت الطريقة . وذلك انهم يغطون سوق النباتات في ماء شديد الحرارة مدة خمس دقائق فيتفتح ما عليها من الزهر

الطبخ بالكهربائية

شاع استعمال حرارة الكهربائية لطبخ الطعام كما شاع استعمالها لتدفئة البيوت وزاد احد المخترعين الاميركيين على ذلك ان

اوصل آلة كالساعة بالموقد الكهربائي حتى تستغني جاريبة البيت عن خادم يلاحظ الطعام و يقطع المجرى الكهربائي حينما ينضج . فاذا كان طبخ الطعام يقتضي ساعتين مثلاً ادارت ربة البيت الساعة حتى تقطع المجرى الكهربائي بعد ساعتين تماماً فتقطعهُ في الميعاد اذ يكون الطعام قد نضج . واذا دعت الحال الى استعمال الغاز مع الكهربائية فالآلة توقد الغاز وتطفئهُ في الميعاد المحدَّد لها . ويقال ان الطبخ بالكهربائية اصلح من الطبخ على نار الفحم او الغازلانهُ يسهل جعل الحرارة تحيط بالطعام الذي يراد طبخهُ من كل الجهات فينضج كلهُ معاً في وقت واحد . والظاهر ان النفقة اقل من نفقة الطبخ بالفحم او بالغاز

قوانين الصحة في الهند

كاد متولو شؤون الصحة العامة في الهند يقنطون من اصلاح حال المنازل والشؤون الصحية بين العامة لفرط ما يلقون من المعارضة بدعوى ان هذا القانون وذاك الامر يخالفان العقائد الدينية والتقاليد الاجتماعية المرعية من قديم الزمان . وهذا كلهُ يجري مع قيام كثيرين من الكتَّاب الهنود يبينون لمواطنيهم خطأهم ويسفِّهون معارضتهم . فقد كتب الدكتور « ماها ملهو باضيايا جنجانات جا » مقالة جمع فيها قوانين السنسكريت القديمة بهذا الصدد وهي تبحث في صحة المنازل وتوصي بقواعد دقيقة جداً فيما يخص الطعام والشراب وكثير منها على جانب من الحكمة والصواب تساعد موظفي الصحة العامة في حث الاهالي على العناية بصحتهم . وقد ختم الكاتب مقالتهُ بقوله : « ان اهل هذه البلاد القدماء عرفوا ومارسوا من قوانين الصحة ما لا يعرفهُ ابناؤهم فكان جهل الابناء واهمالهم وخيم العاقبة عليهم »

النخل في اميركا

تستورد اميركا معظم بلحها وتمرها من بلاد جنوب اوربا وشمال افريقية . وقد قرأنا في السينتفك اميركان ان قسم التجارب الزراعية في جامعة اريزونا زرع منذ بضع سنوات مئتي نخلة فنمت احسن نموّ واخرجت في الموسم الماضي ٢٢ الف رطل من التمر الجيد يبع الرطل منهُ بسبعة عشر سنتاً او نحو ٤ ½ القرش . قالت الجريدة في التعليق على ذلك وقد اثبتت عمدة جامعة اريزونا ان زرع النخل يمكن ان يصير تجارة رابحة في وادي نهر سولت وفي سائر الاماكن التي تشبههُ في اقليمهِ . وليس بين الاشجار ما هو اجمل منظراً من النخلة الباسقة واقوم ساقاً فهي احسن ما يزدان بهِ وجه المروج والحدائق وأكلُها حلو لذيذ المطعم . وفي شمال افريقية يتخذهُ الاهالي طعاماً لهم يأكلونهُ كل يوم بين بسر ورُطَب وتمر

المجمع الزراعي الدولي

ذكرنا غير مرة انهُ انشئ مجمع دولي في رومية يبحث اعضاؤهُ في ما يتعلق بالزراعة وقد اشتركت ٥٥ دولة وحكومة في عضويتهِ ولم توقف هذه الحرب اعضاءهُ عن الاجتماع مدة ما كانت ايطاليا ملازمة الحياد فلما دخلت الحرب مع الحلفاء انسحبَ اعضاء المانيا والنمسا والمجر وتركيا وبلغاريا ان يغادروا رومية فانتقل المجمع كلهُ الى سويسرا . وهو المجمع العلمي الوحيد الذي لم تفصل الحرب بين اعضائهِ ولكن منشوراتهِ الشهرية التي تصدر بالانكليزية والفرنسوية والايطالية صارت خالية من الاشارة الى ما في المطبوعات الالمانية وغيرها من مطبوعات الدول المشايعة لالمانيا

الملاريا وعلب الصفيح

ظهر من البحث ان علب الصفيح التي تحفظ فيها اللحوم والاسماك المقددة وما اشبهها قد تكون بؤرة للامراض في البلاد التي يكثر فيها المطر . وذلك انها بعد ما كل ما فيها تلقى في عرصات المنازل والمعامل فاذا نزل المطر وامتلأت ماء امست مياهًا لحوم البعوض . فلذلك تراهم في بعض البلاد اذا اكلوا ما فيها يثقبونها لكي لا يجتمع ماء المطر فيها

الورق في المانيا

لما اخذت المانيا تشعر بضيق نطاق الحصار الذي ضربهُ الحلفاء عليها جعلت تقتصد في جميع ضروب معيشتها كما هو مشهور وتصدر الاوامر والنواهي وتسن القوانين كل يوم لتطبيق معايش رعيتها على الحالة الحاضرة في البلاد من حيث كثرة الحاجيات او قلتها . ومما اوصت بهِ في بعض منشوراتها جمع الورق القديم حيثما يوجد فعين في برلين وحدها ٤٥٠ مستودعًا لجمعهِ وفي بروسيا كلها الفا مستودع . ولتلاميذ المدارس اليد الطولى في هذا العمل وهم اقدر الفئات على جمع الورق . فاذا جاء الورق الى المستودع ارسل الى المعامل حيث ينتفف ويصنع منهُ ورق جديد . ويعطى المكثرون من جمعهِ خواتم حديد جزاء تعبهم

قيمة النفاية

باعت بلدية احدى مدن انكلترا الصغيرة نفاية المنازل والدكاكين بمبلغ ٥٠٠ جنيه في السنة منها نحو ٣٠٠ ثمن خبث الحديد . ونحو ٥٠ جنيهًا ثمن بقايا السمك ونحو ١٠٠ جنيه ثمن صفائح قديمة وغيرها . ونحو ١٤ جنيهًا ثمن ورق قديم والباقي ثمن نفايات اخرى . وقد زاد ثمن نفاية الورق والزجاج بسبب الحرب

سفينة من الخرسانة

بنت وزارة بحرية اسوج سفينة من الحجر والخرسانة اضلاعها من الفولاذ وحمولتها نحو الف طن. وقد بنتها على سبيل التجربة ويقال انها جاءت طبق مرامها فلذلك قررت ان تبني سفناً على مثالها تحمل ١٥ الف طن الى ٢٠ الفاً. وقد اوصت الآن ببناء سفينة تحمل ثلاثة آلاف طن لزيادة الاطمئنان

وليست السفينة المذكورة آنفاً باول سفينة صنعت من الحجر والخرسانة فقد صنع الانكليز سنة ١٩١٢ سفينة صنعها تمخر في قناة منشستر طولها ١٠٠ قدم وعرضها ٢٨ قدماً وغاطسها ٨½ قدم. وفي سنة ١٨٤٩ بنى الفرنسويون سفينة من هذا النوع عرضوها في المعرض العام الذي اقيم سنة ١٨٥٥

نفاية السمك سماداً

يقدرون ان نفاية السمكة من امعائها ورأسها وذنبها وزعانفها تبلغ ربعها وزناً او اكثر من ذلك الى الثلث تبعاً لنوعها. وقد اخذوا يستعملون بعض هذه النفاية سماداً في كندا ولكن معظمها لا يزال يطرح جانباً ولا ينتفع به. والمساعي مبذولة الآن لاستخدام النفاية كلها سماداً

اللبن من الفول

يصنع الصينيون لبناً من الفول والغالب انهم يصنعونهُ من فول الصويا وذلك بان يدأوا الفول حتى يتلذ جيداً ويحرشوهُ بالرحى ثم يصفونهُ باكياس من الشعر ويضيفوا اليهِ ماء ويغلوهُ ويصفوهُ ثانية ويفرغوهُ في زجاجات ويبيعوهُ لبناً كلبن البقر والغالب انهم يفعلون ذلك ليلاً ثم يبيعونهُ في الصباح والذين يشترونهُ لا يعلمون انهُ مصنوع من الفول وهم يستطيبونهُ كلبن البقر وهو مغذٍ ومسهل الهضم مثلهُ

البراميل من مصاصة القصب

ان مكرري السكر في جزائر هواي وجدوا مصاعب كبيرة في جلب الاكياس لارسال السكر بها الى اميركا فاستنبطوا طريقة لضغط المصاص وعمل البراميل منهُ وهي متينة يرسلون بها السكر ويجلبون البوتاس سماداً ويقال ان البراميل المصنوعة من المصاص لا يتخللها الماء ولا تحرقها النار ولا تنشق كما تنشق اكياس السكر المصنوعة من الخيش

الطيارات والقرية

يقال ان ضابطاً اسوجياً اخترع آلة تمكن الطيار من توجيه التربيد وهو غائص في البحر

قوام السيار زحل

قال المعري الشاعر الحكيم في بعض قصائده

زُحَلٌ اشرف الكواكب دارًا
من لقاء الردى على ميعاد

ولا بدَّ ما يتم قولهُ يومًا من الايام . اما الآن فزحل لم يزل في بداءة عمره ويظهر من ارصاده الاخيرة انهُ مؤلف من طبقات متراكزة الداخلة منها اسرع دورانًا من الخارجة

قناة جديدة

احتفل الفرنسويون في مايو الماضي بافتتاح قناة احتفروها بين بلدة ارل على نهر روان ومدينة مرسيليا وقد اضطروا الى حفر نفق في التلال الواقعة شمالي مرسيليا طولهُ ٤ ½ ميل وعرضهُ ٧٢ قدمًا وعمق الماء فيهِ ١٠ اقدام بحيث تستطيع القوارب الصغيرة ان تمخر فيهِ بين نهر روان ومرسيليا . وطول القناة نحو ٥٠ ميلاً

تشغيل الذين عموا بالحرب

من المعلوم ان حاستي السمع واللمس في الاعمى اقوى منهما في البصير ولذلك رأى الفرنسويون ان يولّوا الذين فقدوا بصرهم في الحرب العمل بالتلغراف اللاسلكي لأنهُ يقتضي ان يكون العامل بهِ قوي السمع وشديد اللمس

ثمن احسن يد صناعية

تبرع فرنسوي مجهول الاسم ببلغ الفي جنيه تعطى جائزة لمن يصنع احسن يد صناعية يستخدمها صاحبها برشاقة وخفة قلما تفرقان عما في اليد الطبيعية وقد مدّ اجل المسابقة الى ما بعد انتهاء الحرب بسنتين واشترط ان تكون مقتصرة على رعايا الحلفاء والمحايدين

نقل البريد بالبلون

جاء من ڤينا ان في النية تسيير الطيارات او البلونات بين برلين وڤينا وبودابست وصوفيا والقسطنطينية لحمل البريد ويقال أن بعض البنوك عازمة ان تمد هذا المشروع بالمال لتحقيقهِ

الطيارات في هولندا

لم يكن يرى في جو هولندا منذ بضعة اشهر سوى طيارة واحدة حربيَّة اما الآن فيرى فيهِ بضعة طيارات والعمل جارٍ في معامل هولندا في انشاء الطيارات الحربية بكل معدَّاتها

حرارة الشمس

آخر تقدير لحرارة الشمس على سطحها هو تقدير العالم الفلكي بكر من فرسوفيا عاصمة بولندا . فقد جاء فيهِ ان متوسط حرارة الشمس على سطحها ٧٤٠٠ درجة بمقياس سنتغراد

فهرس الجزء الخامس من المجلد التاسع والاربعين

صفحة

٤١٧ اصل العمران الاوربي (مصوّرة)
٤٢٥ الحركة الدورانية الجديدة
٤٣١ الشيخوخة واماليُّ حيوية · للدكتور امين ابو خاطر
٤٣٨ بعض الامثال والالوان · لنجيب شاهين
٤٤٥ المزاح واختلاف مقاييسه
٤٤٩ المواد الحيوية
٤٥١ الجهد في سبيل الاكتشاف
٤٥٤ تجارب في الكحول
٤٥٥ احلام الحشاشين
٤٥٩ اديسن اكبر المخترعين
٤٦٣ طبقات الناس بعد الحرب
٤٦٥ المعري وفلسفته · لعباس افندي محمود العقاد
٤٧٥ مصر منذ تسعين سنة · لديمتري افندي نقولا

٤٨٦ باب تدبير المنزل * المرأة الفرنسوية والمحرب · ابادة البعوض · السمن والخفافة · فضل كتمان المرأة · العصفور الدوري · غليون الخمار · ذبح الدجاج بلا ألم ·
٤٩١ باب المراسلة والمناظرة * عظة الدهر لابناء العصر · شكر وايضاح
٤٩٧ باب الزراعة * استغلال الارض · تجذير القمح · محصول القطن المصري · محصول القطن الاميركي · اين يصرّف القطن الاميركي · مواسم اميركا
٥٠٤ باب الصناعة * الفطارات لفتل الخياطات (مصوّرة) · قياس الحرارة الشديدة · تلوين الخشب · المصنوعات الكهربائية · النسج من القرّاص · الصباغ من الجلد الدبغ · سقوط القصب الاكبر في كبري سنت لورنس
٥٠٧ باب التقريظ والانتقاد * حشرات مصر · ديوان عبد الرحمن شكري · المنظومات الدرّية
٥٠٨ باب المسائل * وفيه ١٢ مسألة
٥١٢ باب الاخبار العلمية * وفيه ٢٧ نبذة